تاريخ التربية في العصور القديمة



دكتور/ مريم محمد إبراهيم الشرقاوي

أستاذ الإدارة التعليمية المساعد

و رئيس قسم أصول التربية السابق

جامعة بنى سويف - كلية التربية

الطبعة الأولي

مكتبة النهضة المصرية

٩ ش عدلي - القاهرة

دار النهضة العربية

٣٢ ش عبد الخالق ثروت

المكتبات العربية

٢٠١١م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ صدق الله العظيم .

(الحشر : ١٠)

قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ صدق الله العظيم .

(الزمر : ١١-١٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم ..

اسم الكتاب : تاريخ التربية في العصور القديمة

اسم المؤلف : أ. م. د. مريم محمد إبراهيم الشرقاوي

الناشر : مكتبة النهضة المصرية

دار النهضة المصرية

بعض المكتبات العربية

تنسيق : سمراء عبد النبي

رقم الإيداع : ٢٠٥٩٠

الترقيم الدولي : 978-977-04-1559-7

الإهـــــــــداء

إلى :

- زوجي محمد وأبنتي هبة فلها مني كل الحب والتقدير ..
- الباحثين وطلبة الدراسات العليا .
- إلى الذين يثقون في أن دراسة التاريخ هـــي الإنطــلاق إلـــى الأفضل .

مقدمة الطبعة الأولى :

تنوعت الكتابات عن التربية في العصور السابقة على عصرنا الحاضر ، وتعددت موضوعاتها وزواياها ، ولا يزال الحديث عنها متسعاً للمزيد من البحث والكتابة .

نحن – كثيراً – ما نحسن بارتباطنا بالماضي ، فنتحدث عنه ، أو نتمثل به ، أو نتخذه سبيلاً من سبيل تقديرنا لحاضرنا ، أو كأحد المعايير لتقويمه .

والإنسان في حياته–غالباً–ما يقرن بين أمسه ويومه، ليلقي الضوء على جوانب عمله ، ليقف على مدى تحقيقه لغاياته، أو وصوله لأهدافه، وكذلك تفعل الأمم والشعوب بالنسبة للأوضاع الثقافية والعلمية، باعتبارها مظهراً هاماً من مظاهر حياتها وتقدمها .

ومن أجل ذلك ، ركز هذا الكتاب – بصفة خاصة – على دراسة اتجاهات التربية في العصور القديمة دراسة تحليلية مقارنة ، في ضوء القوى الثقافية ، الموجهة لتلك الاتجاهات التربوية ، كمساهمة متواضعة ، يسرني أن أقوم بها في مجال فسيح بثرائه الفكري القديم ، والمتجدد في نفس الوقت .

وقدم كتابي (تاريخ التربية في العصور القديمة) ما يلي :

الفصل الأول : الشعوب والتربية .

ويتضمن الفصل الثاني : العوامل الثقافية المؤثرة في تاريخ التربية .

وأظهر الفصل الثالث : التربية في المجتمع البدائي .

أما الفصل الرابع : فوضح التربية في المجتمع الفرعوني .

وأضاف الفصل الخامس : التربية في المجتمع الإغريقي .

أما الفصل السادس : فقد أبان التربية في المجتمع الروماني .

والفصل السابع : كان للاستنتاجات ونظرة إلى المستقبل .

نسأل الله أن نكون قد وفقنا بهذه المحاولة ، ولن تكون هذه المحاولة الأخيرة بإذن الله ، مع وعد بالتعديل والتنقيح .

والله من وراء القصد ..

هدانا الله جميعاً إلى ما فيه الخير والصواب .

المؤلف

أ.م.د. مريم محمد إبراهيم الشرقاوي

ج.م.ع. ٢٠١١م

المحتويات



الفصل الأول
الشعوب والتربية

- أولاً : الإنسان صانع التربية .
- ثانياً : الثقافة والتربية .
- ثالثاً : الاتجاهات الأساسية في تفسير التاريخ .
- تعقيب .
- أسئلة على الفصل .



الإنسان صانع التربية(١) :-

أوضح عرفات عبد العزيز سليمان أن الإنسان عرف التربية بأبسط صورها في المجتمعات الأولى التي عاشها ، بين الكهوف والمغارات وعلى سفوح الجبال ، وبين الأدغال والغابات ، وفي الوديان والسهول ، وفي المراعي والروابي ، وعلى شواطئ البحار ووسط الجزر ، وهو في هذا ، كان دائم الصراع بينه وبين تحديات الطبيعة التي حوله حتى يتمكن من الحياة والاستمرار فيها .

لقد كانت تربية الإنسان تربية مباشرة ، يمارسها الفتى مع أبيه عن طريق التقليد والمحاكاة ، وتمارسها الفتاة مع أمها عن طريق إدارة المنزل والقيام بالأعمال التي تتطلبها الحياة اليومية .

وهو عندما وجد في بيئة قليلة المحتوى ، بسيطة التكوين ، ارتبط بمن يعيش معهم وتوافق مع أسباب حياتهم ، فكانت العلاقة الاجتماعية بسيطة وغير معقدة ، ومن ثم ، اتخذ من أسلوب التعامل سياسة ينتهجها في حياته ، يتعامل بموجبها مع مواطنيه ومع غيرهم ممن يعيشون مجاورين له أو بعيدين عنه حتى إذا ما وطئت قدماه شواطئ الأنهار ، شرع يستوطن ضفافها ، بعد طوال ترحاله وتجواله ، ويستنبت أرضها ومن ثم ارتبط بها ، يحذوه الأمل في رؤية ما صنعت يداه وما قدم من جهد ، حتى إذا أخضرت وربت وأنبتت – بإذن ربها – من كل زوج بهيج ، أكل ما أنتجته ، ورعى دوابه وأنعامه ، وأدخر ما تبقى من يومه لغده ، وسعد بالانتماء إليها ، وحرص على البقاء فيها ، والدفاع عنها ثم توالت الأيام ، وتكاثر الناس ، وتعددت احتياجاتهم ، وتنوعت متطلبات حياتهم العامة والخاصة ، وشرعوا يبنون الدور ، ويشيدون القصور ، ويقيمون الحضارات ، بما اهتدوا إليه من علم وفكر وفن ، يعلمونه لأبنائهم ، فيضيفون إليه ويبتكرون فيه ، ثم هو يتطور جيلاً بعد جيل فأساليب الحياة تتطور ، ونظمها تتباين ، وفي هذه الحياة ومن تلك النظم تتكون شخصية الفرد ، وتتلون اتجاهاته ، وتتشكل قيمه ومثله ، وكل ذلك من ركائز تربيته .

ولما كان الإنسان ، هو الكائن الحي النامي المتجدد ، المتطور ، فهو بالتالي دائم التغيير فيما يعيش حوله ، مستهدفاً النفع الأكبر لحياة أفضل ، سواء في طعامه وشرابه ، أو مسكنه ، أو ملبسه ، أو في عمله وفكره ، أو في مقتنياته وتراثه ، وتلك هي حركة التربية في المجتمعات .

والإنسان ، منذ وجوده على ظهرا لأرض ، وهو دائم البحث عن معبود ، يشعر نحوه بالولاء ، والتقديس مهما كان على أي صورة هذا المعبود ، فهو يشعر تجاهه بالقهر أو الحب ، أو الرهبة ، أو القربى والاستجابة ، ومن ثم تكون عقيدته وولاؤه .

لقد ألتمس ذلك ، تارة في الشمس التي تضئ له نهاره ، وتارة في القمر الذي ينير لــه ليله ، وألتمس ذلك في المطر الذي ينبت له الكلأ والزرع ، وفي النهر الــذي يــشرب مــاءه ، ويسقى زرعه ويروي نباته ، كما اتجه إلى الطبيعة حوله ، متخذاً من بعد ما اشــتملت عليــه ، آلهة يعبدها ويقدم لها القرابين ، تقرباً منها أو خشية بأسها (كما حدث في عصور الفراعنة) بل واتخذ مما صنعت يداه تماثيل آلهة ، فهذا إله للخير ، وذلك إله للشر ، وهذا إله للحب ، وتلــك آلهة للجمال وهكذا (كما كان يفعل الإغريقي) .

حتى إذا ظهرت الديانات السماوية الداعية إلى وحدانية خالق الكون ، اتجه الإنسان إلى عبادة الله وحده ، متقرباً إليه بالعمل الصالح ، مؤتمراً بأوامره ، ومنتهياً بنواهيه ، واتخذ الدين نبراساً يهديه في حياته الدنيا ، ويرسم له سلوكه فيها ، وينظم تعامله مع غيره ، ويشرع له سبل سعادته ، ويدعوه إلى العلم والعمل لصالح نفسه ومجتمعه وللبشرية جمعاء ، ثم يمهــد لحياتــه الآخرة بعد رحيله من الحياة الدنيا (ونستطيع أن نلمس ذلك مــن دراســتنا للعــصور الأولــى للمسيحية والإسلام) ، ومن ثم كان الدين ، والمعتقدات الدينية أثر في توجيه الشعوب ، ورســم أساليب حياتهم وطرز معيشتهم ، بل وفي اتجاهاتهم التربوية وشئون تعلمهم على مدى عــصور مختلفة .

والإنسان حيثما استقر ، كون أسرة ثم عشيرة ثم قبيلة ، وكان عليه أن يكون نظماً يسير عليها في حياته ، وتقاليد يرعاها في مجتمعه ، وعرفاً يرتضيه في مواقف حياته ، وكانت هــذه هي تنظيماته السياسية بأبسط صورها ، حتى إذا استقر في مكان واتخذه وطناً ، أخــذ بأســباب العمران ، فبنى وشيد ، وزرع وصنع ، وتاجر ، وأبحر ، وهو فضلاً عن ذلك تعلــم وعلــم ، وأخذ ينتقل بين جنبات وطنه وخارجه ، وكون له حكومة فيها الحكام والرؤساء ، ولها قوانينها ، ودساتيرها ، وتشريعاتها ، وتنظيماتها ، وكانت هذه هي حياته السياسية بصورة أكثر تقدماً كلما توالت العصور .

وعندما كثر الناس ، وتنوعت مصالحهم ، وتشابكت علاقاتهم وتداخلت متطلبات حياتهم ، وأصبح لا مناص من احتكاك الإنسان بأخيه الإنسان وتعاونه معه في شتى مجالات الحياة ، كان عليهم حينئذ ، أن يتبادلوا المنفعة التي تمكنهم من الحياة السليمة المنتجة ، سواء بالنسبة للسياسة أو بالنسبة للعلم ، أو الاقتصاد ، أو غير ذلك من أمور الحياة .

وتفاعلت كل هذه الأمور ، وتفاعل معها الإنسان ، وتكونت ثقافته من واقع بيئته بمقوماتها المادية والمعنوية ، ومن واقع النظم والقوانين والتقاليد التي ارتضاها في حياته ، وتكونت ثقافته كذلك ، مما مر به من أحداث ومحن ، وما تكون لديه من رصيد مادي ومعنوي توارثه الخلف عن السلف ، وما تكون لديه من آمال ، وما تطلع إليه من مستقبل ، فكانت ثقافته ، هذا النسيج المتشابك ومن ثم كانت ثقافته هي المادة التي تشكل تربيته .

وتنوعت الشعوب بتنوع الأمكنة ، في الشرق والغرب ، وفي الشمال والجنوب ، في السهول والوديان ، وفي الصحاري والجبال ... ألخ .

وتنوعت الشعوب بتنوع الأزمنة ، حيث عصور ما قبل التاريخ ، ثم العصور التاريخية القديمة، فالعصور الوسطى ، ثم العصور الحديثة .

وكان لكل شعب في كل مكان وكل زمان ، أساليب معينة ينتهجها في حياته ، ويتمرسها أبناؤه في سلوكهم ، وفي حركاتهم بمجتمعهم ، مما يجعلهم يتمايزون عن غيرهم ، أو يتشابهون معهم في أنماطهم السلوكية ، وبتنوع الأمم والشعوب ، تنوعت ثقافات الناس ، فضلاً عن تعدد لغاتهم ولهجاتهم باعتبارها أوعية للثقافة ، وبالتالي تنوعت أساليب تربيتهم ، لا سيما بعد ظهور المدارس ، فهناك ما اصطلح على تسميته بالتربية النظامية ، وتتمثل في المدرسة والمعاهد وغيرها من أماكن العلم والتعليم ، وهناك ما اصطلح على تسميته بالتربية غير النظامية ، وتتمثل فيما عدا ذلك من مؤسسات ومنظمات يكتسب منها الفرد خبرات ، تسهم في تربيته وتوجيهه في الحياة ، فهناك مؤسسات الإعلام والعبادة والتثقيف العام والترفيه ، وغير ذلك من منظمات المجتمع .

على أن التربية النظامية (أو المدرسية كما يطلق عليها بعض المربين) تطلب الكثير من مقتيضات العمل التعليمي ، كالمعلمين ، والمناهج ، والنظم المدرسية ، وبالتالي جعلت كل أمة ، أو كل دولة تعليمها وفقاً لما تمكنها ظروفها من استعدادات ، وما يتوفر لديها من طاقات بشرية ومادية ، وهنا ، اتسمت الشعوب بسمات مميزة لها ، وكان لكل منها طريقته في الحياة ، وأسلوبه في تربية أبنائه في إطار تركيبه الاجتماعي وأبعاده الثقافية المتنوعة ، التي تعتبر الإنسان ، قوة دافعة لاتجاهاتها .

ثقافة المجتمع :

يعرفها البعض(٢) بأنها خلاصة المعرفة الإنسانية ، والتي يتميز بها الناس في المجتمع ، بينما يعرفها البعض الآخر بأنها العادات والأفكار والتقاليد ، والمؤسسات والنظم ، وغير ذلك مما استطاع الإنسان أن يصل إليه ليحصل على أمنه وطمأنينته وراحتـه ، ولتحقيـق حاجاتـه النفسية والاجتماعية والبيولوجية ، وليسر – بصفة عامة – أمر معيشته في الحياة .

وهناك تعريف ثالث يرى أن الثقافة ، هي نسيج الأفكار والمثـل العليـا ، والمعتقـدات والمهارات والأدوات ، والنتاج الفني ، وطرق التفكير ، والعادات والمؤسسات التي يعيش فيهـا الفرد ، وهي كذلك تشتمل على الطرق التي يتكسب بها الأفراد ، والرياضة التي يمارسـونها ، والقصص التي يحكونها ، والأبطال الذين ينالون تقديرهم ، والموسيقى التي يعزفونها ، والطرق التي يربون بها أطفالهم ، وتنظيماتهم الأسرية ، وطرق مواصلاتهم ، وغيرها من أساليب الحياة ، وكلها مما يصنعه الناس في بيئاتهم بعقولهم وأيديهم .

وعلى ذلك ، فإن الثقافة ، هي أنماط (أو طرز) سلوكية يتميـز بهـا مجتمـع معـين (بالإضافة إلى المكونات المادية) وتكون معاً وحدة عضوية ، هذه الوحدة ، هي كل ما يعزى إلى عملية التعلم في المجتمع ، وما يتناقله جيل عن جيل ، وتلعب لغة المجتمع دوراً هاماً في هـذا النقل .

وعلى أن عناصر الثقافة أو مكوناتها ، المادية والمعنوية ، متشابكة ومتداخلـة التـأثير والتأثر ، فالمادة الخام ليست لها قيمة في المجتمع ، إلا إذا استغلها الإنسان وأثرت في حياتـه ، والمكونات المادية – بصفة عامة – ليست لها قيمة إلا إذا كانت لها دلالات فكريـة خاصـة ، وكذلك ، الأنماط والقيم والعادات والمبادئ والمفاهيم ، والآلات التي من صنع الإنـسان ، ومـا يوجده في بيئته ، كل ذلك يصنع الثقافة في المجتمع ، غير أن المكونات المختلفة للثقافة بعضها أكثر استمراراً وبقاءاً وشمولاً ، بينما يكون البعض الآخر أقل نسبياً ، أو دون ذلك .

ثانياً : الثقافة والتربية :

لما كانت المجتمعات البشرية تختلف في طبيعتها وظروفها وتكوينها ، فمنها البـدائي ، ومنها المتحضر ، ومنها المتقدم ، ومنها المتخلف ، هذه الثقافة ، وبالتالي التربية ، تابعة لهـذا الاختلاف ، وكان لكل مجتمع طابعه الخاص أو قوميته التي ينتمي إليها .

ولما كانت التربية في مضمونها عملية اجتماعية شاملة وكان التعليم (سواء المدرسي منه وغير المدرسي) أحد جوانب هذه العملية ، وله صفته الاجتماعية أيضاً ، فإن الثقافة – من واقع طبيعتها – ذات صبغة اجتماعية ، وهذه الجوانب كلها في تفاعل مستمر باعتبارها عاملـة فـي

محيط واحد لدائرة واحدة ، هي المجتمع ، والثقافة هي نتاج هذا التفاعل ، الذي يـدير حركتـه الإنسان ، ويهيمن على دفع عجلته وتطويره بقدر ما لديه من قدرة مستمدة من طاقات مجتمعـه ومقوماته .

ولذلك فإن التربية عملية اجتماعية ثقافية ، تشتق ضرورتها مـن ضـرورة الوجـود الاجتماعي للأفراد ، ومن كونهم حملة للثقافة .

كذلك ، فإن الثقافة تسهم مع التربية بكل وسائطها في الدوائر الاجتماعية كلها (كالأسرة ، وأماكن العبادة والروابط والهيئات الاجتماعية ، وما يستحدثه أفراد المجتمع من وسائل اتصال وجمع كالأندية والتنظيمات السياسية والاقتصادية ، وما يصدرونه من صحف أو مطبوعـات .. ألخ ، كل هذه تعتبر الوعاء التربوي العام ، حيث تحدث عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد بمـا تؤدي إليه من اكتسابهم أنماطاً سلوكية ، تحدد علاقاتهم ، وتعبر عن نفسها فيما يقومون به مـن أدوار اجتماعية ، فضلاً عن أن التربية ضرورية للاستمرار الثقافي ، وعن طرائقهـا ، يمكـن إعداد وتدريب القوى البشرية اللازمة لميادين الحياة المختلفة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن التربية (ممثلـة فـي المؤسـسات التعليميـة والتربوية) تستطيع الحفاظ على القيم الثقافية والتراث الثقافي للمجتمع ، وكذلك توضيح المبادئ ، وتعميق المفاهيم ، وترسيخ الاتجاهات ، والحفاظ على القيم ، وهذه كلها من ثقافة المجتمع .

والتربية عامل هام من العوامل المساعدة على تكيف الأفراد في مجتمعاتهم عند تعرضها لتغيرات ثقافية مستحدثة ، وهي [illegible] على حماية التراث [illegible] من التغيرات الاجتماعية والنفسية التي قد يتعرضون لها ، كما يحدث في بعض الأمم بعد هزائم الحـروب أو ضـغوط الغزو والاستعمار ، فالتربية تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه ثم تعود وتتأثر به وهكذا .

نوعيات الشعوب :

لما كان الإنسان اجتماعياً بطبعه – كما هو معروف – فإنه بالتالي ، سريع التآلف مـع بني جنسه ، يعايشهم ويتعاون معهم ، ويقدم لهم ما يتمخض عنه فكره ، وما تـصنعه يـداه ، والمجتمعات الإنسانية مهما تباينت نوعياتها أو تقاربت فلكل منها سماته الخاصة به وأساسـيات ثقافته وركائز تربيته ، وقد تكون الشعوب في عصور متزامنة – إلى حد كبير – ولكنها تختلف في نوعية تربيتها ونظمها التعليمية ، فالشعب المصري القديم ، والشعب الإغريقي ، والـشعب الروماني ، كلها شعوب عاشت في عصور متقاربة زمنياً ، ولكنها اختلفت في نوعية تربيتهـا لأبنائها ، لأن ظروف المجتمع تختلف من واحد إلى آخر ، ومن بيئة إلى أخرى ، طبقاً لظروف وعوامل ثقافية متعددة .

وفي العصور الوسطى ، كان الشرق في نهضة فكرية ، وعملية كبيرة ، وكانت عصور استنارة وتقدم للشعوب التي اعتنقت الإسلام ، وللشعوب العربية بصفة خاصة ، بينما كانت هذه العصور نفسها ، عصور تخلف وظلمة فكرية خيمت على الغرب وعاشت فيها أوربا ، حتى إذا ما كسد الفكر الغربي ، ونضبت أوربا ، اتجهت إلى الشرق تأخذ عنه مقومات حضارتها ، وتنقل إلى بلادها ما سبق به الغرب من العلوم والفنون ، حتى إذا كانت عصور النهضة الأوربية ، أصيب العالم العربي بانتكاس في معرفته وخمد ضياؤها حيناً من الدهر بفعل الاستعمار التركي الذي ضرب حصاراً ثقافياً حول البلاد العربية ، وحرمها من نور المعرفة ، ولكنهم لم يستكينوا لذلك ، بل جاهدوا ، وثابروا في جهادهم حتى تحررت بلادهم مما ألقي على كاهلها من ضغوط الاحتلال العثماني ، وما أعقبه من أنواع أخرى من الاحتلال ، ونفضت عنها غبار سيطرته ، وبزغت من جديد في سماء الشرق ، شمس المعرفة بعد أن حجبها ضباب الاستعمار ، ومضت الدول العربية في ركب التقدم بعد أن اعترض مسارها ما وضعته القوى الاستعمارية من معوقات .

حتى إذا ولينا وجوهنا – في العصر الحديث – نحو مصر ، وجدنا حالة التعليم فيها تتأرجح بين النهوض والكبوة ثم تحاول النهوض من جديد مع إشراقات الاتجاهات العلمية الحديثة .

وهكذا ، تختلف نوعيات التربية بين الشعوب باختلاف ظروف هذه الشعوب والعوامل الثقافية التي توجه أساليب التربية ونظم التعليم فيها ، الأمر الذي يستوجب دراسة المجتمع دراسة وافية ، ومعرفة الطريقة التي كان يحيا بها الناس في العصور المختلفة ، ومثلهم العليا ، وأهم الأعمال التي كانوا يقومون بها في شتى نواحي الحياة ، وما تؤثر فيها من عوامل وما تخضع له من ظروف .

ومن أجل هذا ، نحاول في صفحات هذا الكتاب ، تقديم نماذج من حياة الشعوب عبر العصور القديمة ، وهو ما اصطلح المربون على تسميته بـ "تاريخ التربية في العصور القديمة"، مع الإشارة – قبل ذلك – إلى طبيعة هذه الدراسة ، وأهميتها ، والعوامل التي ينبغي مراعاتها في تداولها ، باعتبارها دلالات تفسيرية لأوضاع التربية في المجتمعات الإنسانية بصفة عامة .

ثالثاً : الاتجاهات الأساسية في تفسير التاريخ :

يرى سيد إبراهيم الجيار (٣)أن هناك خمسة اتجاهات أساسية لتفسير التاريخ هي :

الاتجاه الأول : فكرة الحتمية في تفسير التاريخ :

في بداية القرن التاسع عشر كان هناك اتفاق بين أغلب فلسفات التاريخ على التسليم بوجود خطة حتمية يسير التاريخ وفقاً لها ، وعلى أن هناك هدفاً يسعى التاريخ لتحقيقه ، وإضافة إلى وجود قوانين أو قوى تلعب الدور الأول في التطور وفي حركة التاريخ .

وقد ترتب على ذلك قيام محاولات عديدة لتفسير التاريخ على أساس الاعتقاد المطلق في وجود قوانين وقوى حتمية تحكم التطور الاجتماعي ، واعترف العلماء بصعوبة اكتشاف هذه القوى الحتمية بسبب تعقد الظواهر الاجتماعية ، وقد عرف هذا التيار الفكري (بالفلسفة الحتمية) وترتب على الأخذ بهذه الفلسفة التسليم بما يأتي :

١- أن كل ما حدث كان لابد أن يحدث ، وأن ما يحدث اليوم هو نتيجة أحداث ومقدمات في الماضي ، وبعبارة أخرى أن الحاضر محكوم بالماضي ، وكليهما يحددان صورة المستقبل .

٢- إذا أمكن اكتشاف القوانين أو القوى التي تحكم تطور المجتمع أمكن بصفة مطلقة تحديد صورة المجتمع في المستقبل .

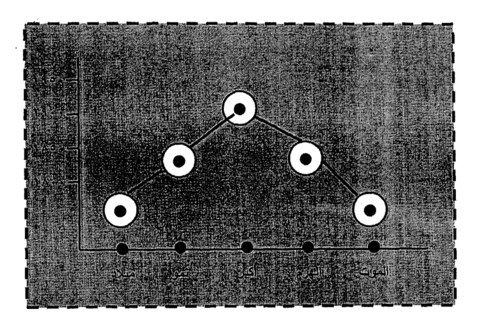
٣- إذا كان التاريخ يسير وفقاً لخطة حتمية ، إذن فلا محل للالتزام الخلقي من جانب البشر ، معنى ذلك انعدام الإرادة الإنسانية ..

مثل هذا التفسير لا يمكن قبوله لأنه معناه إلغاء دور الإنسان والذكاء الإنساني في تفسير التاريخ .

الاتجاه الثاني : فكرة تعاقب الدورات التاريخية :

يذهب أنصار هذه الفكرة إلى القول بأن المجتمعات البشرية مثلها كمثل الكائنات الحية تولد وتنمو وتكبر ويبلغها الهرم وتموت .

ويمكن تمثيلها بهذا المنحنى كما يلي :



شكل رقم (١) فكرة تعاقب الدورات التاريخية

يتضح من الشكل رقم (١) السابق أنه إذا كان من السهل قبول هذه الفكرة على أساس بيولوجيـــة بالنسبة للجنس البشري ، إلا أنه من الصعب التسليم بها لتفسير التاريخ .

<u>الاتجاه الثالث : فكرة التقدم الإنساني :</u>

أصحاب هذه الفكرة فلاسفة التاريخ وهم :-

- **الألماني "كانت"** : صاحب فكرة التقدم اللانهائي ، وخلاصة فلـــسفته فـــي التـــاريخ أن الطبيعة وضعت في الجنس البشري طاقات معينة تمكنه من أن يرتقي ويتقدم إلى ما لا نهاية، وأن من خصائص المجتمعات الإنسانية أن تميل إلى تحقيق التقدم من أجل التكيف مع متطلبات التطور .
- **الألماني "هيجــل"** : صاحب فكرة التقدم المحدود ، وجوهر فكرته ترجع إلى الصراع أو التنازع بين الأفكار ، فكل فكرة لابد أن تجد فكرة مناقضة لها ، ونتيجة الصراع بـــين الفكرتين تنتج فكرة ثالثة هي بالضرورة أرقى من الفكرتين السابقتين لأنهـــا تحمـــل أو تحتوي على محاسن كل منهما ، بمعنى آخر يتولد عن الصراع فكرة ثالثة .

- أن تطور الفكر الإنساني طبقاً (لجدلية هجيل الثلاثية) هو الصراع بين الأفكار حتى يصل الفكر الإنساني إلى الفكرة المطلقة ومتى وصل الفكر في تطوره إلى الفكرة المطلقة وقف التقدم الفكري .
- **أما الفيلسوف "ماركس"** : فقد ظلت فلسفته تتبع فكرة التناقض ، أي لكل فكرة لها فكرة مضادة فمثلاً : فكرة الصدق ضدها فكرة الكذب ، الخير ضده الشر ... إلى ما شابه ذلك ، وسميت فلسفته بالفلسفة المادية .

ونحن نرى ما يلي :

- أن فلسفة الألماني كانت صاحب فكرة التقدم اللانهائي هي الأفضل ، لأنه من الطبيعي أن من خصائص المجتمعات أن تتقدم للتكيف مع المتغيرات بدون تدخل أو إحداث أي تنمية ، فما الأمر إذا تم التدخل في بعض القوى الثقافية المُدعمة للمجتمع مثل : (القوى الحضارية ، من تعلم عصري – مؤسسات قادرة على استيعاب البشر – بشر ذوي قدرات عالية) في المجتمع ، أما إذا تكاتفت هذه القوى الثقافية مع بعضها البعض حدث التقدم إلى الأفضل .
- على الرغم من أن جدلية "هيجل" صالحة للوصول إلى فكرة ثالثة مُنقحة وأفضل ،فهي صالحة للتقدم المحدود ، إلا أن كثرة النزاع والصراع والتعمق في الوصول إلى الفكرة المنشودة هو نوع من التشكيك قد يؤدي إلى الإلحاد .
- **أما "ماركسي"** : لم يأتي بجديد ، فقد اتبع وسار على فلسفة "هيجل" .

<u>الاتجاه الرابع : التفسير المادي للتاريخ :</u>

أوضح "ماركسي" في مقدمة كتابه (نقد الاقتصاد السياسي) أن دراساته وأبحاثه أوصلته إلى نتيجة أن سبب التطور للتاريخ هي الناحية الاقتصادية ، أي أن الإنتاج هو أساس التاريخ ، ونقطة الالتقاء بين "ماركسي" ، و "هيجل" تتمثل في فكرة التناقض والتعارض الذي ينطوي عليه النظام الاقتصادي ، فالتناقض داخل النظام الرأسمالي يؤدي إلى عنف الصراع ، وهذا الصراع يؤدي إلى التغيير ، وربما إلى إحلال النظام الاشتراكي بدلاً من النظام الرأسمالي .

وعلى الرغم من أن التفسير المادي للتاريخ يبرز الدور الهام للإنسان في نشاطه ، وأثر القوى الاقتصادية في تفسير تقدم التاريخ ، إلا أن هذا التفسير ليس شاملاً ، ويعبر عن نظرة أُحادية ، ولا يمكن إغفال القوى الثقافية الأخرى : كالسياسية والدينية والاجتماعية والجغرافية ، والانثروبولوجية ... إلى ما شابه ذلك المؤثرة في تطور التاريخ .

الاتجاه الخامس : نظرية المراحل :

صاحب هذه النظرية هو الأستاذ (والت روستو) حيث أشار أن الدول تمر في نموها وتطورها بالمراحل الخمس الآتية :

١- مرحلة المجتمع التقليدي .

٢- مرحلة الانتقال .

٣- مرحلة الانطلاق .

٤- مرحلة النضج .

٥- مرحلة الرخاء الاقتصادي .

ربما كان هذا التفسير أكثر مرونة من التفسير الماركسي ، ولكنه ينطوي على تأييد واضح للرأسمالية الحديثة .

تعقيب :

تم عرض خمسة اتجاهات أساسية في تفسير التاريخ :

الاتجاه الأول : فكرة الحتمية في تفسير التاريخ أي التسليم بوجود خطة حتمية يسير التاريخ وفقاً لها ، بالإضافة إلى وجود قوى حتمية مؤثرة تلعب الدور الأول في تطور حركة التاريخ ، نحن نسلم بذلك ، لأن هذه القوى تؤثر في الحاضر وفي المستقبل إلى حد كبير ، ولا نفضل عدم الالتزام الخلقي من جانب البشر ، لأن التدخل في هذه القوى لابد وأن يتضمن الاهتمام بالجانب الخلقي .

أما الاتجاه الثاني : فكرة تعاقب الدورات التاريخية ، وتشبيه تطور المجتمعات بالكائن الحي حيث الميلاد ثم النمو ثم الكبر ثم الهرم ثم الوفاة ، لا يمكن التسليم بها أيضاً ، لأنه إذا كان من السهل قبول هذه الفكرة على أسس بيولوجية بالنسبة للجنس البشري ، إلا أنه من الصعب التسليم بتطبيق ذلك على المجتمع .

الاتجاه الثالث : فكرة التقدم الإنساني أن الشعوب ترتقي وتتقدم بالقوى البشرية المُدربة ذات القدرات العالية ، هذه القوى البشرية التي تهدف إلى التحسين بالعلم العصري ، وطلبه من المهد إلى اللحد ، هؤلاء البشر الذين يتعلمون ، يتحاورون ، ويتناقشون ويتناغمون للوصول إلى الأفضل دون إلحاد .

أما الاتجاه الرابع : التفسير المادي للتاريخ نحن لسنا مع هذا التفسير فالتاريخ يمكن أن يفسر بشمول أكثر ، وأن تكامل القوى الثقافية المؤثرة في التاريخ هي التي تدفع التاريخ إلى الأمام .

الاتجاه الخامس : نظرية المراحل هي أقرب إلى الاتجاه الثاني ، ولكنها أقرب إلى الإيجابية ، وتعتقد في قيمة الفرد الذي كرمه الله سبحانه وتعالى إلى جانب قيمة الدولة .

أسئلة على الفصل الأول

(١) "الإنسان صانع التربية" في ضوء هذه العبارة ناقش ذلك ؟

(٢) اكتب مذكرات فيما يلي :

أ- معنى كل من الثقافة – التربية .

ب- نظرية التقدم الإنساني في تفسير التاريخ .

(٣) "توجد اتجاهات أساسية في تفسير التاريخ" وضح ذلك ؟ وأيهما أقرب إلى الصواب من وجهة نظرك ؟

الفصل الثاني

القوى الثقافية المؤثرة فى التربية و التعليم

- أولاً : معنى تاريخ التربية والتعليم .
- ثانياً : ماذا نفيد من تاريخ التربية ؟
- ثالثاً : كيف تدرس تاريخ التربية ؟
- رابعاً : العوامل الثقافية المؤثرة في تاريخ التربية .
- تعقيب .
- أسئلة على الفصل .

الفصل الثاني
القوى الثقافية المؤثرة في التربية والتعليم

أولاً : ماذا نعني بـ "تاريخ التربية" ؟

يرى عرفات عبد العزيز(٤) أن : المقصود بتاريخ التربية ، دراسة أوضاع التربية في مجتمع ما (أو أكثر) من المجتمعات الإنسانية ، ودراسة المراحل التي مرت بها التربية – بما تتضمنه من أساليب للحياة ، ونظم للتعليم ، والثقافة بصفة عامة – في عصر من العصور الماضية ، أو خلال عصور متتالية ، وذلك في ضوء الظروف المختلفة التي تؤثر في طبيعة التربية ، باعتبار أن التربية عملية تطبيع اجتماعي ، وإعداد للحياة ، تخضع لمؤثرات متعددة .

على أنه ينبغي ، ألا تتركز دراسة تاريخ التربية في دراسة النظم والمؤسسات التربوية فحسب ، بل ينبغي – إلى جانب ذلك – دراستها يتصل بها من فكر ، وما يسيرها من سياسات، وما تقوم عليه من فلسفات ، وأفكار ، ومبادئ باعتبار أن هذه النظم والمؤسسات ، أشكال لابد لها من مضمون ، ومضمونها هو ما يتصل بها ومدى تأثر الإنسان به ، أو تأثيره فيه .

ومن أجل هذا ، فإن المتصدي لدراسة تاريخ التربية ، عليه أن يلم بمقومات المجتمع الذي يتناوله بالبحث ، أياً كانت طبيعة هذه المقومات ، سياسية أو جغرافية أو اقتصادية أو دينية، وعليه أن يتفهم طبيعة الشعب الذي يعيش في هذا المجتمع ، وأن يعرف عاداته ، وتقاليده، وخصائصه النفسية والاجتماعية ، الأمر الذي يمكنه من الدراسة السليمة من واقع حياته ، ومن ثم يجد الباحث نفسه مضطراً إلى الإلمام بنوعيات مختلفة من العلوم التربوية ، والإنسانية بصفة عامة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن علم تاريخ التربية ، يعتبر دعامة هامة من دعائم علم التربية المقارنة ، فبالرغم من أنه من الدراسات الأكاديمية التي تعني بالماضي ، بينما تركز التربية المقارنة على الاتجاهات المعاصرة ، إلا أنها في حاجة وظيفية – في كثير من مجالاتها – إلى تاريخ التربية ، فضلاً عن أنهما يشتركان في كثير من الأهداف وطرق البحث ونواحيه .

ثانياً : ماذا نفيد من تاريخ التربية ؟ :

يرى سعد مرسي أحمد(٥) أن : الإنسان – بطبيعته – مشوق دائماً إلى معرفة حياة غيره من بني البشر ، سواء في مجتمعه المعاصر ، أو في مجتمعات سابقة على عصره ، بل أنه يتطلع إلى حياة المستقبل ، وهو في هذا ، يجد متعة نفسية وذهنية كبيرة .

والإنسان ، دائم التعرف على نواحي التقدم والتحضر في المجتمعات البشرية ، رغبة منه في تقصي طبيعة هذا التقدم أو التحضر ، ومعرفة العوامل التي امتزجت وتفاعلت وانتجت هذا النسيج المتشابك من ثقافة الشعوب .

والإنسان – على مر العصور – يستفيد من خبرات من سبقوه ، فنحن في عصرنا الحاضر ، نأخذ من الماضي ما يفيد حياتنا المعاصرة ، والأجيال التي تأتي بعدنا ، ستفيد من خبراتنا وتطويرها بما يتلاءم وحياتها ، ومن ثم فإن الحاضر إمتداد الماضي ، فضلاً عن أنه تمهيد للمستقبل ، وهكذا .

وحياة الإنسان عبر العصور المختلفة ، سلسلة من المعرفة ، وحلقات متصلة من الخبرة، فالأنماط السلوكية للناس ، وطرائق حياتهم ، وما عاشوا فيه من فكر ، ودين ، وتعليم وما مارسوه من عادات وتقاليد ، وما ساد بينهم من قيم واتجاهات ، وما تمتعوا به من مباهج الحياة ونعيمها ، وما أقاموه من عمران ، وما خلفوه من آثار ، ثم ما عانوه من مشكلات وصعاب في حياتهم ، وما كان بينهم من علاقات وروابط ثم ما تركه السلف للخلف ومن تعاقب بعدهم من الأجيال ... إلى غير ذلك مما كان يعيش فيه الناس خلال قرون عديدة في بقاع الأرض المختلفة كل هذا ، جدير بالإنسان أن يعرفه ، فهو كرصيد متنوع لثقافة الشعوب ، ولا يخلو من عبرة أو فائدة ، أو مزايا تكسب حاضرنا لوناً من ألوان الرباط الإنساني ، وقد تدعم تقدمه وتدفعه إلى المزيد منه ، لا سيما ، وأن كثيراً من مقومات حضارتنا المعاصرة (سواء في الشرق أو في الغرب) لها أصول سابقة وجذور قد تكون ضاربة في القدم ، ومن ثم ، فإن دراستنا لحقيقة هذه الحضارات نوع من التأصيل الحضاري والثقافي لحياتنا المعاصرة إلى جانب ، أن حركة التربية وتطويرها ، مما يسترعي اهتمام الإنسان ، ورغبته في التعرف على ما تركه السابقون من تراث فكري تربوي ، ومدى توافقه مع الاتجاهات المعاصرة أو اختلافه عنها ومدى إفادته من الماضي .

هذا ، بالنسبة للقارئ ، أو للإنسان بصفة عامة .

أما بالنسبة للمعلم (والعاملين في المجال التربوي) بصفة خاصة ، فإن دراسة تاريخ التربية ، تنطوي على مزايا متعددة ، منها :

١- أن طبيعة عمل المعلم ، تحتم عليه ، معرفة شئون التربية ، والاهتمام بأمور التعليم في بلده أو في غيرها من بلاد العالم ، عبر عصور متنوعة ، ومعرفة القوى والعوامل التي وجهتها، والتي أثرت فيها وتأثرت بها ، حتى كانت تلك الأساليب من التربية والنظم التعليمية .

٢- أن التعرف على آراء واتجاهات أعلام الفكر التربوى : كأفلاطون – الغزالي – ابن خلدون – فرويل – جون ديوي إدوارد ديمنج يسهم في إثراء الخبرات التربوية .

٣- أن معرفة الأصول التاريخية للتربية ، تجعل العاملين في المجال التربوي والتعليمي ، أكثر مرونة وتبصراً بالدوافع والأسباب التي شكلت الأوضاع التي كانت قائمة في عصور سابقة وما تضمنته من مؤسسات وتنظيمات ، مما يفيد في نقل أو تعديل النظم التعليمية أو المناهج الدراسية أو إقامة مؤسسات تعليمية واجتماعية قومية ، مع مراعاة اختلاف الظروف أو مدى تماثلها .

٤- أن الإلمام بالتاريخ ، يضيف إلى العمل التربوي والتعليمي كثيراً من المعلومات ويثريه بالمزيد من الخبرات ، وذلك عن طريق فهم الماضي بما فيه من تجارب وحلول المشكلات ، مما يساعد على فهم الحاضر ، والتنبؤ بالاتجاهات التي تسير فيها الأوضاع المعاصرة ، كما يعين على الإعداد للمستقبل ، والتخطيط من أجله مما يفيد مجالات التربية والتعليم .

٥- أن تاريخ التربية ، مجال فسيح لمعرفة الفلسفات والنظريات التربوية التي نادى بها السابقون فضلاً عن أنها سفر مفتوح أمام العلم ، يقرأ فيه رحلة الشعوب مع تيارات الحياة ، يرجع إليه كلما دعت الحاجة إلى الاسترشاد أو المشورة .

ولا يعني هذا ، العودة إلى الوراء ، أو التمسك بالقديم ، ولكن ، كم من قديم متجدد أو كم من جديد يفضله القديم !

ثالثاً : كيف تدرس تاريخ التربية ؟

لدراسة تاريخ التربية، أساليب أو طرق متعددة ، من أهمها ما ذكره سيد إبراهيم الجيار(٦) :

(أ) دراسة الشخصيات أو الأعلام : بمعنى أن نتناول بالدراسة والتحليل حياة أراء أعلام التربية أو الفكر أو الفلسفة الذين أثروا في الميدان التربوي ، وكانت لهم آراء أو نظريات واتجاهات بارزة في هذا المجال ، مما يجعلها جديرة بالدراسة ، ومدى إمكانية

الإفادة منها ، من أمثال : (أفلاطون ، سقراط ، الغزالي ، ابن خلدون ، جاك جاك روسو ، جون لوك) ... وغيرهم .

وربما كان من أهم مزايا هذا الأسلوب ، هو تشويق القارئ واجتذابه نحو متابعة ما يكتب عن الشخصية مما يشعره بالمتعة العقلية الطيبة .

ولكن يؤخذ عليه ، أنه قد يؤدي إلى الاهتمام المفرط بهؤلاء الأعلام وتأكيد دورهم في مجال أو أكثر والاستفاضة في تناول تاريخهم الشخصي ، بينما يغفل أو يقلل من الظروف الموضوعية التي أسهمت في تكوين اتجاهاتهم وتشكيل فكرهم سواء من حيث ظروف المجتمع والعوامل المختلفة التي تؤثر فيها ، أو من حيث أحداث التاريخ ووقائعه وما ينتج عنها من أمور، إلى غير ذلك ، مما يكون له دخل كبير في حياة هؤلاء المربين أو المفكرين أو الفلاسفة ، وبالتالي في آرائهم واتجاهاتهم .

(ب) <u>دراسة قضية أو مشكلة من قضايا التربية ومشكلاتها (وهو ما يعرف بالطريقة العرضية)</u>: بمعنى تتبع هذه القضية أو المشكلة بالدراسة التطورية التحليلة عبر العصور المختلفة منذ القدم حتى وقتنا الحاضر ، مثل : العلاقة بين الاقتصاد والتعليم أو الحرية في التربية أو التربية المثالية ، وغير ذلك من نظريات التربية واتجاهاتها وربما كان من أهم مزايا هذا الأسلوب أنه يتضمن العديد من الأفكار والآراء ومحاولة إيجاد روابط بينها ، برغم ما قد يكون هناك من تباعد زمني أو مكاني بينهما .

ولكن يؤخذ عليه ، أن الدارس قد يلجأ إلى تكرار ما يتناوله نتيجة لتكرار بعض الظروف أو تماثلها ، بالإضافة إلى قلة التعمق في دراسة هذه الظروف من واقعها في الماضي ، الأمر الذي يقلل من فاعلية هذا الأسلوب .

(ج) <u>الطريقة الطولية</u> : بمعنى تقسيم تاريخ التربية إلى عصور متتابعة أن متعاقبة (وهو ما يعرف بالطريقة الطولية) مثل : التربية في العصور القديمة والتربية في العصور الوسطى ، وفي كل وحدة من هذا التقسيم (العصور القديمة مثلاً) يتناول الدارس العوامل المختلفة (سياسية – اقتصادية – حضارية) ، بمعنى آخر التركيز على عصر واحد فقط عند تناول المشكلة .

<u>رابعاً : العوامل الثقافية وتاريخ التربية :</u>

لدراسة تاريخ التربية في المجتمعات المختلفة ، ينبغي أن نضع في اعتبارنا مجموعة من القوى أو العوامل الثقافية التي توجه التربية ، وتقف خلف ما يعيشه الناس من أساليب الحياة بما في ذلك ، نظم التعليم ومؤسساته .

وهذه العوامل ، مشتقة من طبيعة الحياة في المجتمعات البشرية باعتبار أن الثقافة ، تعني أسلوب الحياة في المجتمع .

كما عرفها "تايلور" (Taylor) منذ عشرات السنين ، بأنها كل مركب ، يتضمن المعارف ، والعقائد ، والفنون ، والأخلاق ، والقوانين ، والعادات ، وكذلك أي قدرات وخصال يكتسبها الإنسان نتيجة لوجوده كعضو في المجتمع .

كذلك ، عرفها "لسلي وايت" (Leslie White) (حديثاً) بأنها تنظيم لأنماط السلوك ، والأدوات والأفكار بما تحتويه من معارف ومعتقدات ، والمشاعر بما تتضمنه من اتجاهات وقيم ، التي تعتمد على استخدامه اللغة ، ومن ثم ، فإن الثقافة ، تشمل كل القيم والنظم المادية والاجتماعية لأي جماعة من الناس ، بما في ذلك النواحي السياسية والدينية والفكرية ، وعادات الناس واتجاهاتهم ، وآدابهم وفنونهم ، والكيفية التي يمارسون بها وجوه نشاطهم المختلفة .

وهذه الثقافة : تنتقل من جيل إلى جيل ، وتقوم اللغة – باعتبارها وعاء الثقافة – بدور كبير في هذا الانتقال .

وبالتالي ، فإن الثقافة تعتبر مادة التربية : لأن التربية تشتق طرائقها من طبيعة الثقافة ، وهذه الثقافة ، هي نتيجة لعوامل متنوعة ومتداخلة .

وتاريخ التربية ، يخضع لمقومات الثقافة وعواملها ، من هذه العوامل كما يراها عرفات عبد العزيز (٧).

(١) العوامل السياسية :

ونقصد بها الأوضاع السياسية للمجتمع ، وما تتضمنه من نظم الحكم ، وما يتسم به من ديموقراطية أو استبداد ، وما يتعرض له من استقرار أو انهيار ، أو تطور أو تدهور ، وما قد يعانيه من هجوم وما يضطر إليه من دفاع ، ثم من حيث الاستقلال أو الاستعمار وكذلك ، ما يكتنفه من ظروف سياسيةعامة ، لها أثرها على اتجاهات التربية فيه ، ويتضح ذلك من تتبع الظروف السياسية التي كانت تعيشها أسبرطة (من بلاد اليونان القديمة) سواء في الداخل ، حيث الاستبداد والتسلط ، أو في الخارج ، حيث توقع الهجوم أو الدفاع من وقت لآخر ، وانعكس هذا، على أساليب التربية ونظم التعليم ، والتي وضع أسسها مشرع أسبرطة "ليكرجوس" (Lycurgus) والذي سن النظم واللوائح التي اتخذها الأسبرطيون دستوراً لهم في الحياة ، والتي تتسم في جملتها بالشدة والعنف والقسوة ، والتي تهدف إلى تكوين وإعداد أفراد أقوياء ، شجعان ، لديهم القدرة على الاحتمال والصبر ، حتى يتمكنوا من حفظ كيان الدولة ، وذلك بإخماد ثورات العبيد في الداخل ، وصد العدوان الذي قد يأتي من الخارج .

وقد نصح "ليكرجوس" بألا تبني الجدران حول اسبرطة لحمايتها ، قائلاً : إن خير الجدران لحماية الدولة ، إنما هي التي تبني من الرجال بدلاً من الحجارة .

أما عن التعليم ، فقد كانت الدولة هي المهيمنة على تعليم الأسبرطين في جميع مراحله المختلفة التي كانت تبدأ منذ ولادة الطفل وتستمر حتى سن الثلاثين في المعسكرات على أن تظل العلاقة بحياة المعسكرات إلى سن الستين ، مع استمرار تنفيذ تعليمات الدولة وتوجيهاتها بكل دقة وولاء .

ويتضح ذلك ، أيضاً ، من اتجاهات التعليم أبان حكم محمد علي لمصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث كان النمط السائد هو النمط العسكري كما رسمته سياسة الدولة في ذاك العصر ، سواء في نوعيات التعليم التي تخدم الأهداف العسكرية ، أو في كيفية اختيار الدولة للتلاميذ ، إذ كانت تخصص لكل مديرية نفراً ، وتعهد إلى رجال الإدارة بجمعهم فإذا لم يتقدم بهم أهلوهم وهم صاغرون ، سلط رجال الإدارة ، الجند لنزعهم من أحضان أهلهم ، أو عهدوا إلى المتعهدين بأن يوردوا لهم الأنفار الناشئين ، ثم في نظام الحياة المدرسية وألوان العقوبة التي كان يتعرض لها التلاميذ .

كذلك ، يتضح أثر السياسة على التعليم فيما اتبعه الاحتلال البريطاني لمصر في أواخر القرن التاسع عشر حيث كانت سلطات الاحتلال تعمل على وجود نوعية من الشباب المصري ، تألف الخنوع والاستكانة وتتعود على إتباع أساليب التملق والنفاق ، مع مشاعر الإعجاب بالمستعمر ، مع اقتصار التعليم على فئة قليلة من أبناء الشعب المصري وقد وضع المستعمر ما أراده من مناهج ونظم تعليمية تخدم أغراضه التي لا تعدو موظفين يعملون في الحكومة ، بعيدين عن النواحي السياسية والاقتصادية ، والفكرية ... مما يضمن بقاء المستمر .

(٢) العوامل الاجتماعية :

ونقصد بها حياة المجتمع ، من حيث هو مجتمع طبقي أو مجتمع أو رأسمالي ، أو مجتمع ذو صلات مفتوح ، أو انعزالي مغلق ، وما يسوده من مبادئ ، وقيم ، ومثل ، واتجاهات عامة ، وما يحس به الأفراد من مساواة وعدل أو تمايز وظلم اجتماعي ، ثم مدى الإحساس بالرفاهية أو الاضطهاد ، وكذلك ما تتعرض له الشعوب من تغير اجتماعي نتيجة ظروف معينة ، بالإضافة إلى التقدم الحضاري الذي يعيش فيه ... الخ ، ويتضح أثر ذلك على التربية ، مثلما حدث في بعض العصور الرومانية القديمة ، فلم يكن الشعب الروماني ، شعباً مبتكراً ، بقدر ما كان شعباً ممتازاً في النواحي التطبيقية ، واستعار الرومان من اليونان القدامى أفكارهم وترجموها إلى أعمال تخدم مجتمعهم مما ساعدهم على سن القوانين والتنظيمات الاجتماعية التي

أخذت عنها دول كثيرة ، ومنها دول حديثة ، كذلك ، عرف الشعب الروماني بشغفه بالمال والثراء ، وكان هذا الشغف من أهم العوامل التي جعلت الرومان ميالين للحروب يبتغون من ورائها الكسب وتملك الخبرات وجمع الثروات ، لقد اهتمت التربية الرومانية في عصورها القديمة بالنواحي العملية والنفعية والحربية بينما أغفلت النواحي الجمالية والفنية التي ميزت التربية اليونانية القديمة عن غيرها ، ويعتبر الهدف التربوي في هذه الفترة من تاريخ روما ، هو تكوين المواطن الصالح ، الذي يتمثل في الجندي الشجاع المتحلي بالفضائل التي تساعده على معرفة ماله من حقوق وما عليه من واجبات مثال آخر ، يتضح فيه أثر التركيب الاجتماعي في التعليم باعتبار أن القوى الاجتماعية هي الوعاء الذي يحتوي المعارف والمعلومات والاتجاهات ، فإذا تأملنا في تركيب المجتمع المصري خلال العصر العثماني ، نجده كان مكوناً من :

(المماليك ، الأتراك ، المثقفين ، أرباب الحرف والصناعات ، أهل الذمة ، التجار ، العوام ، الفلاحين ، البدو ثم الأجانب) .

وبطبيعة الحال ، كان التعليم تمثيلاً صادقاً لنوعيات التركيب الاجتماعي في مصر ، حيث عني بتعليم الحكام والفئات المقربة إليهم ، بينما أهمل تعليم السواد الأعظم من الشعب المصري ، وتخلفت الثقافة العربية بالمقياس عما كانت عليه في عهود سابقة .

بالإضافة إلى ذلك ، فإن الأتراك – وأن كانوا مسلمين – إلا أنهم لم يتعلموا اللغة العربية ، فبقوا بعيدين عن روح الثقافة العربية ، وحتى عن روح الإسلام ، لقد كان من أهداف الحكومة العثمانية ، إهمال الوطن العربي وجره إلى التدهور المادي والمعنوي حتى لا يتطلع إلى الاستقلال ، ويكفي أن تعرف أن تلك الحكومة لم تجد بأساً في أن تضع للولايات العربية ، حكومات قائمة على النزاع والمنافسة والسلب واقتسام الغنيمة ومن ذلك ، سيطرة أمراء المماليك على مصر في العهد العثماني بكل رذائل هؤلاء الأمراء وتخلفهم الفكري والخلقي .

(٣) العوامل الاقتصادية :

ونعني بها النواحي الاقتصادية العامة للمجتمع ، باعتبار أن أوضاع التربية تتأثر بالأوضاع الاقتصادية للمجتمع وإمكانياته ، سواء بالنسبة لمحتوى التعليم أو أساليبه ، ومؤسساته، أو اتجاهات الثقافة بصفة عامة ، فقد ارتبط التعليم طوال عصور التاريخ المتعددة في مختلف المجتمعات بالاقتصاد ارتباطاً وثيقاً حتى إن البعض يرى أن العامل الاقتصادي ، هو الذي يحدد النظم الاجتماعية ، ويوجه تطورها في المجتمع ، وبالتي ينعكس أثره على عمليات التربية ، فعلى سبيل المثال ، ازدهرت الحياة العلمية في مصر الفرعونية ازدهاراً كبيراً ، كان لحسن ظروف الاقتصاد المصري فضل كبير في ذلك ، حيث مكنهم من إقامة حضارتهم الزاخرة

بالعديد من مظاهر التقدم والعمران والنبوغ في العلوم المختلفة ، فمثلاً كان للطب بفروعه شأن عظيم وكان لأطباء مصر القديمة شهرة ملأت أسماع الدنيا في ذلك الوقت وارتبط التحنيط والتشريح بالطب إلى جانب الاهتمام بالفلك والعلوم الكونية والعلوم الرياضية كالهندسة والحساب لما تقتضيه متطلبات الحياة كبناء الأهرامات وإقامة المعابد وتنظيم مياه النيل وقياسها وضبطها وتنفيذ المشروعات العامة والتجارة ، وما إلى ذلك كان المصريين والقدماء في معرفة الكيمياء حظ لا يقل عن حظهم في سائر المعارف والعلوم ، وتشير الدلالات التاريخية إلى أن الحياة في مصر الفرعونية جمعت سائر أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية ومستوياتهم الحيوية في وحدة متماسكة قوية ، ولم يلجأ المصريون إلى ثورات ذات طابع اقتصادي أو اجتماعي (إلا في أضيق الحدود) ، لذلك ، تميز المجتمع المصري بذيوع ذلك الروح الصفو العذب الذي شمل الناس جميعاً ، كما جرت أيام الحياة لدى المصريين سهلة ، بسيطة ، يسودها جو من المرح الصافي ، وعلى نغمة حلوة مرضية ، وبسعد أهلها الرخاء المادي الذي تجرى لهم بهم الحياة بين يدي النيل العظيم .

وهناك مثال آخر ، ويتضح فيه أثر الاقتصاد على التعليم ، ولكنه على نقيض المثال السابق ، وذلك إبان الحكم العثماني لمصر ، فقد ساءت الحالة الاقتصادية وبالتالي ساءت حالة التعليم بل وتدهورت حتى انحدرت إلى الحضيض ، ويعبر عن ذلك ، "علي مبارك في خططه التوفيقية" بقوله : ... أهمل أمر المدارس وامتدت الأطماع إلى أوقافها ، وتصرف فيها النظار على خلاف شروط وقفها ، وامتنع الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة ، وصار ذلك يزيد في كل سنة عما قبلها لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد حتى انقطع الالتفات إلى عماراتها .. فامتدت أيدي الناس والظلمة إلى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها حتى آل بعض تلك المدارس الضخمة والمباني الجليلة ، إلى زاوية صغيرة ، تراها مغلقة في أغلب الأيام وبعضها زال بالكلية ، وصار زريبة أو حوشاً ، أو غير ذلك .

(٤) العوامل الدينية :

ونعني بها ، الاتجاهات الدينية والمعتقدات التي يعتنقها أفراد المجتمع وما يمارسونه من طقوس ، وما وقر في نفوسهم من إيمان وما تغلغل في وجدانهم من عقائد وما يقدسونه من آلهة ومعبودات (في العصور القديمة ثم ظهور الديانات السماوية كالمسيحية والإسلام) وأثر ذلك في طبيعة المجتمعات واتجاهات الشعوب ، وبالتالي ارتباطه بأوضاع التربية ونظم التعليم ومسارات الثقافة في المجتمع .

ففي مصر الفرعونية ، وجد ارتباط كبير بين العقيدة ومختلف العلوم والفنون التي أجادها المصريون القدماء ، ووضح ذلك في بناء الهياكل والمقابر وما وجد عليها من رسوم

دينية وتصاوير تتعلق بالعبادة والخلود وما يتصل به من تشريح وتحنيط وحفظ الجثث الموتى ، ثم ما كان يدرس من الأدب الديني والقصص الديني ... الخ ، ويبدو من آثار الفراعنة ، أنهم يهتمون بالحياة الدينية ويقدسونها أكثر من غيرهم من أمم الأرض التي كانت تعيش في عصورهم ، بل أنهم يرجعون العلوم واختراعها إلى الإله توت ، إله الحكمة ، وحول معبوداتهم ومقدساتهم ، وجدت أنواع العلوم وفرع المعرفة ، أضف إلى ذلك ، قيام الكهنة وهم رجال الدين حينئذ – بتدريس العلوم المختلفة ، إلى جانب عملهم في المعابد وما يتصل بشئون الدين .

كذلك يتضح أثر العامل الديني في حياة الناس وأساليب تربيتهم وتعليمهم ، بظهور الدين الإسلامي ، فقد كان لانتشاره في شبه الجزيرة العربية ، آثاره المتنوعة ، اجتماعياً ، وفكرياً ، وعلمياً ، وسياسياً ، باعتباره أهم حدث تعرضت له ، فقد غير من الأوضاع التي كانت سائدة من قبل ، حيث ملأ معتنقيه بمُثل عليا ناضجة ، وبعواطف إنسانية سامية ، ذلك أنه ، إلى جانب ما نادي به من الإيمان بعقائده الأساسية في توحيد الله عز وجل ونبوة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، والحياة الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب ، فإنه نادي كذلك بالتمسك بتعليم الأخلاق الفاضلة واعتبره شرطاً أساسياً للحياة الدينية الصالحة ، وبالإضافة إلى البعث السياسي والروحي لبلاد العرب الذي كان نتيجة لظهور الإسلام ، فضلاً عن اهتمامه بالعلم والتعليم ، وحثه على العمل للجمع بين الحسنيين ، خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، ثم باتساع الأمصار الإسلامية وانتشارها ، بدأت تباشير نهضة تعليمية ، دعامتها – في بداية الأمر – العلوم الدينية ، ثم استنباط الأحكام الفكرية والفتاوى الشرعية ، إلى أن بدأ الاهتمام بالعلوم العقلية أو الكونية ، كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها .

على أنه مع عناية الإسلام بالعلم والمتعلمين ، فإنه لم يفرق بين أجناس من يتعلمون أو يفاضل بين مستوياتهم الاجتماعية (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) إذ كان مبدأ المساواة بين جميع المؤمنين ، هو الأساس الذي بنيت عليه معاهد العلم الإسلامية ، وعلى ذلك ، لم يؤسس المسلمون معاهد خاصة ، أو كليات لمختلف الطبقات ، بل كانت معاهدهم العلمية يحضرها الغني والفقير على السواء ، وكان الفقير ، يجد فيها كل مساعدة ممكنة .

(٥) العوامل الجغرافية :

ونعني بها ، ما يتصل بالبيئة التي تعيش فيها ونوعيتها ، من جبلية أو صحراوية ، أو ساحلية أو زراعية ، أو صناعية أو تجارية ، ... ثم طبيعة هذه البيئة من جو ومناخ وتضاريس واقتصاد ، وسهولة مواصلات أو وعورتها ، وما يتضمنه موقعها الجغرافي من جيرة وأصدقاء أو أعداء ... الخ ، وارتباط ذلك كله بالنظم السياسية والاجتماعية ، وكذلك بالنواحي الثقافية

والفكرية والنفسية والتربوية بصفة عامة لأفراد المجتمع الذين يعيشون فيها ، ويتضح أثر ذلك فيما يلي :

فقد كان صفاء السماء في مصر وخلوها من السحب والغيوم معظم أيام السنة ، من دواعي اهتمام الفراعنة بالعلوم الكونية مثل علم الفلك إلى جانب اتخاذهم بعض كواكب السماء – وبخاصة الشمس – آلهة يعدونها ، وكان أول من اشتغل منهم بالفلك "كهان هليوبوليس" ، الذين توصلوا إلى التقويم الشمسي وهو أول التقاويم المضبوطة في العالم منذ فجر التاريخ ، وقد تفردت مصر في ذلك الوقت بهذا التقويم دون سائر أقطار الأرض ، وفي هذا يقول "هيرودوت" : (إن المصريين هم أول من عرف السنة الشمسية ، وقسموها إلى أثنى عشر شهراً ، وكانوا يجعلون لكل منها ثلاثين يوماً ، ويزيدون على هذا العدد ، خمسة أيام كل سنة ، وبذلك تنتهي دوره الفصول عندهم ، بنفس التاريخ الذي بدأ به التقويم) .

كذلك ، كان لطبيعة المناخ في البيئة المصرية ، أثره في احتفاظ كثير من جثث قدماء المصريين بمعالمها الآدمية ، فقد عثر على بعضها في بلدة البداري (بمحافظة أسيوط بصعيد مصر) وقد حفظها جفاف الرمال وحرارتها ، فأبقى في أمعائها قشوراً من حب الشعير .

وبطبيعة الحال ، لم تكن هذه ، هي الطريقة الوحيدة التي استخدمها الفراعنة في الحفاظ على جثث موتاهم فقد كان فلإيمانهم بعقيدة البعث ، وآثره في حرصهم على استخدام الوسائل التي تحقق ذلك وأشهرها التحنيط ، الذي لفت أنظام العالم لبراعتهم فيه .

وإذا اتجهنا صوب بلاد اليونان ، نجد أن "أسبرطة" كانت تقع في منطقة وعرة في "جبال البوليبونيز" ، وكانت حياة الناس في بيئة جبلية كهذه تتطلب قوة الجسم والقدرة على الاحتمال ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كانت خلافات اسبرطة بجيرانها وما حولها ، علاقات مضطربة في معظمها ، فقد فرضت سلطاتها على المناطق القريبة منها ، كما فرضت عليها الضرائب والجبايات ، ومن ثم كان الخطر يهدد اسبرطة دائماً إلى جانب الحياة الاجتماعية التي تدعو إلى تمرد الأرقاء ومن أجل هذا ، اتسمت التربية الاسبرطية بالخشونة والعنف بما يتلاءم والطبيعة القاسية ، وكرست جهودها في إعداد أجيال قوية ، تقف أمام أعدائها وتحميها من أغاراتهم ، واتخذ حكام اسبرطة من الوسائل ما يحقق لهم ذلك ، منها .

وبعد ، فإن هذه العوامل الثقافية وغيرها ، تشترك في إحداث حركة تطور المجتمعات ، وتكوين عمليات التربية بها ، ولكنها تختلف في مدى تأثيرها ؛ كل بقدر فعاليته .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنه ليس من الضروري ، أن تؤثر تلك العوامل كلهـا في مجتمع واحد أو في كل المجتمعات ، وإنما قد يؤثر بعضها في مجتمع ما ، بينما يؤثر واحد منها في مجتمع آخر ، وهكذا ، وفقاً لظروف كل مجتمع .

ونحن في تناولنا لدراسة اتجاهات التربية عبر العصور المختلفة ، ينبغي أن تـضع فـي اعتبارنا أثر القوى الموجهة لهذه الاتجاهات ، والتي تقف خلف تنظيماتها ، وهي ما اصطلح علـى تسميتها بالعوامل الثقافية أو الموجهات الثقافية أو المتغيرات الثقافية أو الأوضاع الثقافية أو ببساطة الأسباب التي تقف خلف أي ظاهرة .

تعقيب :

بعد أن علمنا أن دراسة تاريخ التربية والتعليم تعني دراسة أوضاع التربية والتعليم في مجتمع أو أكثر عبر عصور أو مراحل معينة ، أو بمعنى آخر – على سبيل المثال – (دراسة عناصر العملية التعليمية التي تتكون من التلاميذ – المعلمين – المناهج – المباني المدرسية والتجهيزات – الشئون المالية – العلاقة بالمجتمع المحلي) في مجتمع أو أكثر عبر عصور أو مراحل معينة ، يفضل دائماً دراسة القوى الثقافية المؤثرة السائدة والمتوقعة في التعليم ، تلك القوى الثقافية عديدة ومتنوعة كالسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ... إلى ما شابه ذلك .

أسئلة على الفصل الثاني

(١) أكتب مذكرات مختصرة عن :

أ- أهمية دراسة تاريخ التربية والتعليم للمعلم .

ب- معنى تاريخ التربية والتعليم .

ج- الطريقة العرضية في دراسة تاريخ التربية والتعليم .

(٢) "لدراسة تاريخ التربية والتعليم أساليب أو طرق عديدة" ناقش ذلك ؟

(٣) "توجد قوى وعوامل ثقافية ينبغي أخذها في الاعتبار عند دراسة التاريخ" وضح ذلك مع شرح ثلاث قوى مؤثرة ؟

الفصل الثالث

التربية فى المجتمع البدائى

- تقديم .
- أولاً : القوى الثقافية المؤثرة في المجتمع البدائي .
- ثانياً : التربية والتعليم في المجتمع البدائي .
- تعقيب .
- أسئلة على الفصل .



تقديم :

يرى "سيد إبراهيم الجيار"(٨) أنه يمكن تحديد بدء ظهور الثقافة الإنسانية بالوقت الذي أصبح فيه الإنسان قادراً على نقل خبراته ومعلوماته وتلقينها للنشئ أو الجيل الجديد من أفراد جماعته ، ومن المحتمل أن تكون ثقافات ما قبل التاريخ قد بقيت في حال من الجمود والثبات لقرون عديدة ، وفي اللحظة التي أمكن للإنسان أن يكتشف فيها شيئاً جديداً مهما كان بسيطاً وساذجاً .

ومن الملاحظ أن الفرق الجوهري بين جماعات ما قبل التاريخ وبين الجماعات التاريخية التي تميزت بحضارتها وتنظيم حياتها ، هو عدم وجود لغة مكتوبة عند الأوائل في حين بدأ تاريخ الجماعات الأخيرة مع ظهور الكتابة ومع أن الكتابات التاريخية قد درجت على تسمية المجتمعات القديمة بالمجتمعات البدائية (Primitive Societies) ، إلا أن ينبغي ألا نخلط بين تلك الجماعات وبين الجماعات غير المتحضرة التي تعيش بيننا اليوم في أستراليا وغيرها لمجرد أنه لا توجد عندهم لغة مكتوبة ، فمن الواضح أن ثقافة هذه الجماعات المعاصرة تعتبر على درجة كبيرة من التعقيد والتشابك والنمو الحضاري إذا ما قيست بثقافات ما قبل التاريخ .

أولاً : القوى الثقافية المؤثرة في المجتمع:

(أ) النواحي الاجتماعية :

يرى عرفات عبد العزيز ما يلي : يقصد بالمجتمعات البدائية(٩) :-

تلك المجتمعات التي تعيش حياتها على الفطرة أو الطبيعة دون أن ينالها حظ من التمدين أو التحضر ، ولم يقدم لها من المعرفة وأساليب التقدم العلمي ، ما يغير من طبيعتها ، ومما هي عليه .

وهذه الشعوب ، توجد في بعض الأماكن ، الصحراوية أو الرعوية أو الأدغال والغابات ، أو الجزر النائية ، أو ما شابه ذلك .

ويطلق على الإنسان البدائي ، إنسان ما قبل التاريخ ، بالمقارنة إلى إنسان العصور التاريخية التي توالت فيما بعد .

وتميزت الشعوب البدائية ببساطة الحياة فيها ، وقلة تعقيدها ، وقد انعكس هذا على طبيعة التربية فيها ، حيث مواقف الحياة ، والممارسة نتيجة التقليد والمحاكاة .

وقد كانت الأسرة والتجمعات القبلية القائمة على القرابة والتقارب ، أول أنـــواع الـــنظم الاجتماعية ، فقد وجد الناس أن معيشتهم سوياً تزيد في ضمان حياتهم ورفاهية كل فرد مـــنهم ، كما أحسوا بضرورة وجود قواعد ونظم معينة لتوجيه حياة الجماعة ، لتحديد علاقة الفرد بهـــذه الجماعة أوجه نشاطها ، وهكذا ، تكونت العادات والطباع كما تكونت الأفكار والمشاعر التـــي تشترك فيها الجماعة والتي تحدد حقوق وواجبات الأفراد المختلفين فيها .

وقد أحس الإنسان البدائي بأن خير الجماعة يتوقف على أداء كل فرد لواجباته ، وبـــأن على كل أعضاء العشيرة أو القبيلة أن يعملوا وفق مصالحها العامة ومن ثم تكونت في كل قبيلة قواعد معينة تتصل بأوجه النشاط الهامة في الحياة وتحددت واجبات الإباء نحو أبنـــائهم ، كمـــا تحددت العلاقات بين الجنسين ، والاتجاهات نحو الملكية ، والولاء للكبار والقادة ، وتقسيم غنائم الصيد ، وواجبات المحاربين في الحرب وغير ذلك مما تقتضيه الحياة البدائية .

وقد دل التنظيم البدائي القبلي للحياة في عصور ما قبل التاريخ ، علـــى أن الجماعـــات البشرية التي تكونت حينئذ ، كانت ضرورية لحماية الإنسان أثناء رحيله من مكان إلى آخـــر ، بحثاً عن الطعام أو طلباً للأمن ، فقد عاش الإنسان الأول معيشة انفرادية ، ثم تكونت الأسرة ، ثم تألفت الأسر ، وتكونت العشائر ثم تجمعت العشائر وتكونت القبائل والمجمعات .

(ب) النواحي الدينية :

أما من حيث النواحي الدينية ، فقد عبد الإنسان البدائي كثيراً من مظاهر الطبيعة حولـــه ومكوناته ، من جماد ونبات ، وحيوان ، ومن ثم كان تحت رحمة العالم الطبيعي والحيـــواني ، يدين له بالولاء والمحبة ، وتسيطر على سلوكه خشيته والرهبة منه والرغبة في رضائه ، لقـــد اعتقد الإنسان البدائي في السحر وأعمال الشعوذة ، وامتزجت هذه العقيدة بما أتفق عليـــه مـــن العرف والتقاليد واختصت فئة الكهنة والسحرة والمشعوذين بتوجيهات المعرفة والتـــسلط علـــى النواحي يرسمون طقوسها وتقاليدها للجماعة يشاركهم في هذا ، كبار رجال القبائل وذوي الخبرة فيها .

ثانياً : التربية والتعليم في المجتمع البدائي :

لقد كان غرض التربية في المجتمعات البدائية – بوجه عام – مساعدة الفـــرد علـــى أن يصبح جزءاً أساساً من الثقافة التي ينتمي إليها ، وبالتالي فإن التربية البدائية حاولت تشكيل الفرد بالثقافة المحيطة به تشكيلاً ثابتاً ، وقد تكون هذه النظرة صحيحة إلى حد كبير ، غير أن هناك ، قبائل بدائية كانت تسمح بشيء كبير من المعرفة والحرية والابتكار في تربية أطفالها .

ويرى بعض مؤرخي التربية أن التربية البدائية لم تكن على نمط معين بل كانت كل قبيلة تحاول تربية أبنائها وفق النمط الذي كان كبارها يسيرون عليه ، فبعض القبائل كانت تعلم صغارها احترام الملكية بينما لم تهتم قبائل أخرى بذلك ، وكان بعضها يوجه أهمية خاصة إلى المهارات الفنية والحرفية بينما كانت هناك قبائل تترك هذه المهارات إلى مجال الصدفة أو التقليد ، فكانت بعض القبائل تغرس اتجاهات الخجل والعفة عن النواحي الجنسية ، بينما كانت هناك قبائل تشجع أطفالها على الاختلاط الحر بين الجنسين ، وهكذا تنوعت أساليب التربية في المجتمع البدائي .

يقول "بول منرو" في كتابه عن تاريخ التربية :

كان هدف التربية البدائية ، هو إحداث التوافق والانسجام بين الفرد وبيئته المادية ، وذلك بوسائل ، معينة ، أثناء قيامه بالأعمال ، سواء كانت هذه الأعمال متصلة بمصالحه أبو بعبادته .

وفي ضوء ما سبق ، نستطيع أن نقول إن التربية في المجتمعات البدائية كانت تتم باندماج ذاتية الفرد في تقاليد المجتمع ، لتحقيق رفاهية الجماعة .

أما عن التعليم ، فلم تكن هناك مؤسسات أو منظمات ، غرضها الأساسي ، تعليم النشئ، وتقديم أنواع المعرفة لهم ، بل كان الأمر أشمل من ذلك ، إذا كانت القوى المعلمة أو العناصر التعليمية ، منتشرة في جميع مواقف المجتمع البدائي ، ويتعلم الطفل العادات والتقاليد وأساليب الحياة من أسرته ، حيث الوالدين والكبار في الأسرة ، ومن رئيس العشيرة ، ومن شيخ القبلية ، ومن الطقوس التي يمارسونها ، ومن المجالس التي تعقد ، ومن الحفلات التي تقام في مناسبات مختلفة ، ثم من أقرانه في اللعب ، ومن ممارسته للعمل تحت إشراف المسئولين عنه .

ومن الملاحظ أن هذه الحياة بأنماطها وأساليبها ، تجعل الطفل يتشرف ثقافتها ويعايش مقوماتها ، ويمارس تعاليمها ، إلا أن التعليم هنا ، ذو طابع سلبي حيث يتشكل فيه الطفل بقالب الكبار ، ويتشرب ما يريدون تقديمه له من مصطلحات للسلوك أو العادات أو المهارات .

وقد كان هذا التشكيل الاجتماعي ، ضماناً لأن يحافظ المجتمع البدائي على مقوماته ، ومكوناته ، ومسار الحياة فيه ، واستمرار النمط الذي يعيش فيه ، دون زعزعة أو تغيير .

ومن أجل هذا ، تركزت التربية البدائية في الإعداد للحياة المعاصرة للإنسان البدائي ، دون تفكيره في المستقبل ، ومن ثم كانت تربيته لا تحرز نوعاً ملموساً من التقدم ، فهو يعيش في الحاضر مطمئن البال ، يعوزه الخيال الابتكاري ، كما يعوزه الدافع إلى العمل لمقتضيات

الحياة المستقبلية ، ولم يخرج عن طبيعة هذه الاتجاهات إلا فئة قليلة، اتصفت بالعبقرية أو الشذوذ من أمثال السحرة الذين قاموا – إلى حد ما – بدور المدرسين في بيئاتهم .

أما عن المدارس ، فلم تعرف المجتمعات البدائية شيئاً عنها ، كذلك لم يعرف الإنسان البدائي الكتابة ، ولكنه كان يحفر الرسوم على الجدران ، معبراً عما حوله ، وعن مشاهدات حياته ، وقد ظهرت الكتابة فيما بعد ذلك بعد قرون في شكل تصاوير ورسوم ترمز إلى اللغة .

وقد كان لبعض القبائل – إلى جانب المسئولين عن النواحي الدينية والروحية والشعوذة – جماعات تقوم بحرف ووظائف مختلفة ، كبناء البيوت وتشكيل الأشياء من المعادن ، وصناعة الآلات والملابس ، ووشم الناس ، وكانت هذه الجماعات تدرب الصغار على التعرف على مهارات وأسرار هذه الحرف المختلفة .

أما الصبية الصغار ، فكانوا يلهون بصيد الحيوانات والأسماك والقتال كما يلهو أطفالنا في الوقت الحاضر باللعب المختلفة ، كما كانوا يلتزمون بما تتفق عليه قبائلهم من عرف وتقاليد ويسيرون وفقها ويتجنبون مخالفتها ما دامت هذه المخالفة تؤثر في رفاهية القبيلة التي ينتسبون إليها ، وكانوا يستمعون إلى أساطير الأولين والسابقين وأغانيهم وأهازيجهم ويعتبرونها من تقاليد القبيلة التي يجب عليهم المحافظة عليها .

وكثيراً ما كانت بعض القبائل تقيم طقوساً لتدشين المراهقين أو صغار الشباب قبل قبولهم في مجتمع الكبار فيها ، ورغم أن ممارسة طقوس التدشين لم تكن أمراً شائعاً بين كل القبائل ، إلا أنها كانت تمثل نوعاً هاماً من إشراف الكبار على تربية الصغار .

وما يذكر ، أن البنين والبنات كان عليهم اختيار مجموعة من الاختبارات قبل إقامة حفلات تدشينهم كتعرضهم لبعض الآلام الجسمية أو شربهم الدم أو استخدام الوشم وغير ذلك من الأعمال التي تتطلب الصبر وقوة الاحتمال ، على أن هذا يختلف من قبيلة إلى أخرى .

وبوجه عام فإنه من الممكن أن نجمل خصائص التربية في المجتمعات البدائية فيما يلي : وذلك كما أوضحها "سيد إبراهيم الجيار" (١٠):-

١- أن عملية التربية كانت تتميز بالتنويع أي أنه ليست هناك مؤسسات أو هيئات مسئولة مسئولية أولى أصيلة عن عملية التعليم ، وإنما يقوم بها شيخ القبيلة يعلم الناس ويقوم بها كاهن القبيلة ويقوم رب الأسرة .. والكبار بوجه عام ، كما يقوم بها المجتمع في مختلف مناسباته وظروفه .

٢- والخاصة الثانية للتربية البدائية أنها متدرجة مرحلية بشيء من التقليد والتعميم ... أي أن الطفل في مراحل حياته المختلفة ينتظر منه أن يصل إلى مستويات

معينة في سن معينة فهي متدرجة حسب السن والنمو البدني ، فينتظر من الطفل في سن السابعة مثلاً أن يقود الجمال إلى المرعى ولا ننتظر منه أن يوردها مورد الماء ، وقد ينتظر منه أن يكون قادراً على حمل السيف أو الخنجر بمجرد بلوغه سن البلوغ بصرف النظر عن قدراته الفردية .

٣- التعليم في المجتمعات البدائية قائم على التقليد والممارسة ، وبذلك يكون نمط الحياة في القبيلة هو محور العملية التربوية وأبعادها ، ولذا ما يكون مألوفاً لفرد يأخذه على علاته دون تغيير .

٤- والخاصية الرابعة للتربية في المجتمعات البدائية هي أن التعليم فيها يتميز بالقابلية ، ليس فيه عنصر الفاعلية – بمعنى أن التربية البدائية تتميز بالقابلية والطواعية العامة ، دون إيجابية وتفاعل مع البيئة المحيطة .

والمهم في كل هذا أن دراسة التربية في المجتمعات البدائية تعطينا فكرة عن نوع الحياة في هذه المجتمعات واعتبارها نقطة البداية في تطور البشرية الطويل المعقد .. فمع ظهور الحضارات المعروفة وتطور أساليب الحياة تغيرت النظم التربوية ... من مجرد عملية عارضة إلى عملية منظمة مقصودة ، ومن مجتمع ثابت إلى مجتمع متغير متطور ، ثم ظهور الرموز وبدء عملية التسجيل واختراع الكتابة ... والطباعة ... الخ ، وهكذا فإن المجتمع البشري المعاصر لم يبدأ من نقطة الصفر كما فعل الإنسان البدائي ، وإنما بدأ بما وقف عنده الأسلاف وخبرات اليوم هي استكمال لخبرات الماضي وبناء الخبرات للمستقبل وهكذا .

ومن الواضح أن المجتمعات البدائية لم تعرف المدرسة كمؤسسة متخصصة للتعليم ، والمعلمين كطائفة متخصصة في عملية التعليم .

تعقيب :

علمنا أن عناصر العملية التعليمية في مجتمع ما قبل التاريخ كانت غائبة بالمعنى المعاصر الذي نعرفه اليوم (فلا مدارس – ولا معلم – ولا منهاج – ولا علاقات بالمجتمع الخارجي) ... إلى ما شابه ذلك هذه العناصر التعليمية كانت منتشرة بطريقة بسيطة في جميع مواقف المجتمع البدائي فعلى سبيل المثال يلاحظ ما يلي :

- الطفل هو المتعلم .
- الوالدين وشيخ القبيلة هما المُعلم .
- التدرج والمرحلية هي أساليب التعلم .
- التقليد والممارسة هي طرق التدريس .
- ثقافة القبيلة هي المحور وهي المنهج الذي يتشربه الأطفال .
- لا يوجد إعمال للعقل إلا في حدود ضيقة .
- التغير البطيء وليس التغيير هو السمة الغالبة وقتذاك .

لقد كانت الحياة الاجتماعية بسيطة والنواحي الاقتصادية غير معقدة والوثنية هي أساس الدين وقتذاك ... إلى ما شابه ذلك .

بمعنى آخر أن هذه المجتمعات كانت البداية لفترات تالية وحقبات تاريخية أخرى متقدمة إلى حد ما بفعل التدخل وإحداث التقدم .

أسئلة على الفصل الثالث

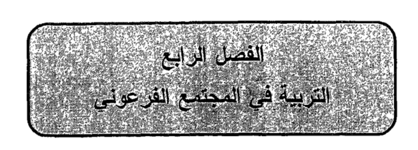
(١) "تؤثر القوى الثقافية في المجتمع تأثيراً كبيراً ، كما تصبغ المجتمع بصبغة معينـــة ، إضافة إلى أن هذه القوى توجه الفكر التربوي والتعليمي" ، ناقش أثر هــذه القــوى الثقافية في المجتمع البدائي ؟

(٢) "كان للتربية والتعليم في المجتمع البدائي أهداف معينة ، وضح ذلك أولاً ، ثم وضح رأيك بموضوعية في مجتمع ما قبل التاريخ" ؟

(٣) "توجد مجتمعات بدائية اليوم تعيش بيننا في استراليا على سبيل المثال" بماذا تفـــسر ذلك ؟



- تقديم .
- أولاً : القوى الثقافية المؤثرة في التعليم .
- ثانياً : التعليم في المجتمع الفرعوني .
- ثالثاً : (جامعة الاسكندرية) .
- تعقيب .
- أسئلة على الفصل .



الفصل الرابع
التربية في المجتمع الفرعوني

مقدمة :

هناك تفاوت في الآراء في قدم الحضارة المصرية في عصورها الفرعونية ولكن هناك شبه اتفاق بين المؤرخين ، على أن ثقافة المصريين في العصر الحجري الحديث لم تكن تضارعها ثقافة أخرى في العالم .

وقد كشفت لنا الحفريات ، على ارتقاء صناعة الأدوات الحجرية التي كان يستعملها المصريون القدماء ، ووصولها إلى درجة عالية من الصقل ودقة الصنع ، ثم صناعة المعادن المختلفة ، مما يؤكد قدم هذه الحضارة .

بالإضافة إلى ذلك ، عرف قدماء المصرين الزراعة حيث الاستقرار والإقامة الطويلة ، وقد أيد صحة هذا ، ما وجد من آثار ، ومنها آثار بلدة "البداري" في محافظة أسيوط – حيث وجدت بعض الجثث المحنطة والتي يرجع تحنيطها إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وقد حفظها جفاف الرمال وحرارتها ، وبأمعائها قشور حب الشعير الذي كان يزرع آنذاك .

أما عن أصل المصريين القدماء ، هل هم أغريقيون ؟ أم أنهم أسيويون ؟ أم أنهم خليط من هؤلاء وهؤلاء ؟ ثم هل هم سكان البلد الأصليون ؟ أم أنهم وافدون ؟ ومن أين وفدوا ؟ ... كل هذه التساؤلات ، لا تزال مجال آراء مختلفة ومجال جدال ومناقشة .

العصور المصرية القديمة :

أولا : القوي الثقافية المؤثرة في التربية

تنوعت القوي الثقافية التي أثرت في التربية ،وكان أهمها هي :

(أ) القوي السياسية (١١):-

أن مصر كانت مقسمة إلي عدة أقاليم صغيرة مستقلة حتى تكون منها مملكتان إحداهما بالوجه البحري والاخري بالوجه القبلي ، وان مصر لقبت بأرض القطرين ،ثم تم توحيد الوجهين تحت سلطة الملك مينا ، ومنذ ذلك العهد يقسم المؤرخين تاريخ مصر القديمة علي النحو التالي(١١):-

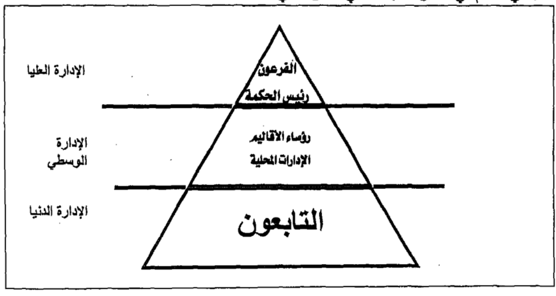
١- **عصر الدولة القديمة** : أي من الأسرة الأولى إلى الأسرة السادسة ، وقد أعقبت الدولة القديمة فترة من الفوضى ، شملت الأسر من السابعة إلى العاشرة .

٢- **عصر الدولة الوسطى** : أي من الأسرة الحادية عشر إلى الأسرة الرابعة عشر ، وقد انتهى هذا العصر بفترة من الفوضى والنزاع على الحكم استمر حتى الأسرة السابعة عشر أدى إلى غزو الهكسوس لمصر .

٣- **عصر الدولة الحديثة** : وقد شمل الأسر من الثامنة عشرة إلى العشرين ، ومن ملوكها حتشبسوت وتحتمس الثالث ، وقد استمر هذا العصر حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ، حيث انتشرت الفوضى وضعفت الدولة.

٤- **عصر الاضمحلال** : ببداية الأسرة السادسة والعشرين ، بدأ النزاع على الثروة والسلطة بين فروع ورجال الدين (كما حدث في عهد رمسيس الثاني) وشارك الكهنة ، الحكام في استنزاف ثروات الدولة على حساب طبقات الشعب الكادحة ثم تولى أحد الكهنة ، الحكم ، وتحولت الإمبراطورية المصرية إلى حكومة دينية غير قادرة على إدارة شئون البلاد ، وهكذا أساء الكهنة استخدام السلطة باسم الدين والكهنوت ، بالإضافة إلى عدم قدرتهم السياسية والعملية على الإبقاء على ثروات البلاد وحماية أراضيها مما عرضها للغزو الأجنبي ، على مدى قرون متعاقبة ، حيث وقعت فريسة للغزو الليبي والغزو الحبشي ، ثم الغزو الإغريقي (على يد الاسكندر الأكبر) .

ان لفظ فرعون كان لقب الملك في مصر القديمة ،ويعني البيت الكبير ،وكانت إدارة البلاد مصحوبة بمهيبة واحترام شديدين نحو ملك البلاد من جميع أفراد الشعب ،ويمكن تصور الشكل السياسي للحكم في مصر القديمة ،علي النحو التالي :-



شكل رقم(٢) يوضح النظام السياسي في مصر القديمة

ويلاحظ من الشكل رقم (٢) ما يلي :-

١. كانت سلطة الفرعون مطلقة نظريا فيما يتعلق بإدارة البلاد ،وكان يعاونه في الإدارة رئيس الحكمة إضافة إلي معاونين آخرين ،ويعتبر المستوي الأول هو الإدارة العليا في هذا النظام السياسي.

٢. قسمت مصر إلي أقاليم صغيرة تقع مسئولية إدارتها علي طائفة من الموظفين ،علي رأسهم رئيس الإقليم،له سلطات واسعة كفرض الضرائب –حصر التعداد –إقامة الجسور –حفر الترع –إقامة مخازن التموين –إقامة العدل والقضاء...... إلي ما شابه ذلك ،لقد عملت هذه الإدارات المحلية بانسجام وتناغم مع رئيس الحكمة ،ويمكن أن نطلق علي هذا المنصب أو هذا المستوي مستوي الإدارة الوسطي.

٣. يأتي المستوي الثالث وهو مستوي الإدارة الدنيا والتابعون لكي يكتمل الشكل البياني للنظام السياسي في مصر القديمة ،وهو هام لبسط نفوذ رئيس الحكمة والفرعون علي كل الأنحاء التابعة للمجتمع المصري القديم.

(ب)الديانة وفلسفة الحياة :

عبد المصريون القدماء كثيراً من الأشياء والمعبودات ، فعبدوا الحيوانات والطيور والنباتات ، وعبدوا الشمس والقمر والشجر والمطر والنيل ... ثم عبدوا البشر ممثلاً في فرعون الذي قدسوه وآمنوا بألوهيته باعتباره صورة مجسدة للإله العظيم سيد السماء وأن روحه قد حلت في جسمه ، وبالتالي ، فلابد من طاعته والتقرب إليه ، ثم إذا أتى ابنه من بعده ، فعليهم تقديسه وطاعته والولاء له لأنه ظل أبيه وهو على صلة دائمة به بعد انتقاله إلى عالم الموتى .

والواقع أن عبادة المصريين القدماء لهذه الأشياء جميعها ، كانت إما تقرباً منها ، واستدراراً لخيرها وإما خشية منها واتقاء لشرها ، فهم في هذا يبحثون عن إله أو معبود ، حتى إذا كانت نهاية الدولة القديمة ، ظهر الإله "رع" في "هليوبوليس" (مدينة الشمس – عين شمس الحالية) ثم الإله أمون إله طيبة أوفي عصر الدولة الحديثة ، ظهر اخناتون ، ظهر معه دين جديد يدعو إلى التوحيد وترك هذه المعبودات والقضاء عليها فيما عدا الإله الجديد "آتون" (الشمس) فهي مصدر كل حياة على الأرض وهي بمثابة رب الأمم كلها ، وبالتالي ، ترك المعبودات الأخرى ، وهدم معابدها ، وهياكلها .

ثم تغيرت الأمور بمجئ "توت عنخ آمون" ، وكان اسمه توت عنخ آتون ، فغير اسمه وغير ديانة آتون ، وأعاد ديانة آمون إله طيبة وتعاليمه ، ثم تلاه آخرون من حكام مصر الفرعونية ، كان للنزاع بينهم وبين رجال الدين دخل كبير في ضعف الدولة ونهايتها .

والحقيقة ، أن المتصفح لتاريخ مصر القديمة ، يجد أن المصريين القدامي – على مر العصور – كانوا يؤمنون بالإله الواحد وإن تعددت صوره ، وكان من معتقداتهم أن للروح في العالم الآخر ميزاناً يقدر لها الحسنات والسيئات ، وكانت كلمة "الله" هي القوة التي تفعل ما تريد، ولكنها لم تكن دعوة نبوة ورسالة ، ولعلها جاءت في زمن لم تتهيأ فيه النفوس للعلم بالوحدانية ، ونبذ الشرك وتعدد الأرباب وكانت في جملتها دعوة كهان ، يسترون ما يعلمون ، ولا يبوحون للناس بأسرار الديانة إلا بمقدار .

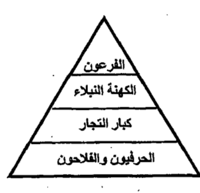
وكان ميزان السماء يزن لكل روح حسناتها وسيئاتها ، ويحسب الملوك من الأرباب الذين يتصرفون في الأرواح خلال الحياة وبعد الممات ، حتى إذا جهر "اخناتون" بدعوة التوحيد والمساواة بين عباد الله ، صدرت دعوته من قصر الدولة كأنها مراسيم الملك وقوانين الحكومة ، ولم تلبث أن بطلت في قصر الدولة نفسه بمراسيم من قبيل تلك المراسيم ، وقوانينها يطيعها الناس أشد من طاعتهم لتلك القوانين ، لأنها تستعين بدهاء الكهان ، وسلطان العرف والعادة ، إلى جانب وجود فريق من الحكماء يعرفون الله كأنهم يعرفون حلاً مقدماً لمسألة الوجود ، أو كأنهم يعرفون خالقاً للكون ، ولا يزيدون عن تلك المعرفة .

ويشرح الأستاذ الدكتور/ سعد مرسي أحمد عملية التحنيط(١٢):-

لقد عمل المصري القديم كي يحافظ على الجثة إلى تحنيطها ، ويقول "هيردوت" أول ما يفعله المحنطون أن يخرجوا المخ من المنخرين بخطاف من الحديد ، فإذا ما انتزعوا جزءاً منه بهذه الطريقة أخرجوا ما بقى منه بإدخال بعض العقاقير فيه ، ثم فتحوا فتحة في جنب الميت بحجر حاد ، وأخرجوا منها جميع أحشائه ، فإذا ما غسلوا البطن ونظفوه بنبيذ النخل رشوا عليه العطور المسحوقة ثم ملأوا البطن بالمر النقي وبعطر العشبة وغيره من العطور ، وأعادوه بالخياطة إلى ما كان عليه من قبل ، فإذا ما فعلوا هذا كله غمروه في منقوع النطرون وتركوه فيه سبعين يوماً ، وتركه أكثر من هذا الوقت مخالف للقانون ، فإذا انقضت هذه الأيام السبعون غسلوا الجثة ولفوها كلها في أحزمة من القماش المشمع ، وغطوا هذا القماش بطبقة من الصمغ الذي يستعمله المصريون عادة بدل الغراء ، وبعد أن يتم هذا كله يسترد أهل الميت الجثة ويصنعون لها صندوقاً من الخشب على صورة إنسان ، فإذا ما أتموا صنعه وضعوا الجثة فيه وأحكموا إغلاقه ، وأودعوه لحداً وهو واقف يستند إلى جداره ، وبهذه الطريقة يعالجون الأجسام التي يريدون الاحتفاظ بها علاجاً يكلفهم أبهظ النفقات .

(ج) الحياة الاجتماعية :

كان المجتمع المصري القديم ، مجتمعاً طبقياً إلى حد ما ، إذ كان على النحو التالي(١٣):-



<u>الطبقة الأولى</u> : ويمثلها الفرعون المؤله وعائلته وكبار رجال البلاط الفرعوني .

<u>الطبقة الثانية</u> : ويمثلها الكهنة والنبلاء وكبار العسكريين .

<u>الطبقة الثالثة</u> : ويمثلها كبار التجار وأصحاب المهن الأثرياء .

<u>الطبقة الرابعة</u> : ويمثلها الحرفيون والرعاة والفلاحون .

ويلاحظ أن أعداد أفراد هذه الطبقات تمثل ترتيباً تصاعدياً في غالبيتها ، حيث تكون الطبقة الأخيرة – مثلاً السواد الأعظم من سكان مصر الفرعونية ، على أنه يوجد تفاوت بين تلك الطبقات بعضها البعض ، وكذلك بين أفراد الطبقة الواحدة ، فلم يكونوا كلهم – أبناء الطبقة الواحدة – سواء من حيث المركز الاجتماعي أو الثراء المادي ، بل كان التفاوت واضحاً بين طبقات المجتمع في كثير من النواحي وفي أساليب الحياة نفسها ، وكان يمكن للفرد الانتقال أو التحول من طبقة إلى طبقة أعلى ولكن بعد جهد كبير – وكان من أبرز تقاليد الحياة الاجتماعية في مصر القديمة احترام الوالدين والتمسك بالقيم والأخلاقيات ومساواة المرأة بالرجل في الطبقة الواحدة بل كان من تقاليدهم ضرورة طاعة الزوج لزوجته على أن يثبت ذلك في عقد الزواج وبرغم ذلك كانت النساء يمتلكن ويورثن ضمن ما يتركه الأزواج من ميراث .

والمعروف أن المصريين القدماء يحترمون المرأة ويقدرون مكانتها في المجتمع فضلاً عن أنهم كانوا يتخذون بعض آلهتهم من النساء كما حدث في بعض العصور الفرعونية .

والجدير بالذكر أن المجتمع المصري القديم ، وكانت تسوده التربية الخلقية التي تضمنت الكثير من النصح والتوجيه ، كما ذخرت بالعديد من الحكم والأمثال .

<u>ثانياً: التعليم في مصر الفرعونية :</u>

يمكن القول بأن التربية في المجتمع المصري القديم كانت تهدف إلى تنمية الثقافة بعامة كما تهدف إلى تنمية المهنة بخاصة ، أي تنمية ثقافية ، مهنية ، وكذلك كان هدف التعليم النظامي والمدارس النظامية مواجهة حاجات المجتمع ومتطلباته وكان التعليم فيها يهدف إلى تطبيع التلاميذ بأيديولوجية الدولة واتجاهاتها ، ثم كانت هناك فنون وحرف كثيرة وكذلك وجدت الورش

لصناعة الأدوات والمهمات وبخاصة معدات الدفن وغيرها ، كما وجدت النقابات المهنية والحرفية .

والحقيقة أن نظرة الفراعنة إلى التربية باعتبارها عملية إعداد للحياة بالإضافة إلى شعورهم الديني العميق جعلهم يمدون أنفسهم وأبناءهم لهذه الحياة ، سواء حياتهم الدنيا ، أو حياتهم الخالدة فيما بعد ، فنجدهم يبتكرون الأساليب والطرق الرياضية لبناء أهراماتهم تنفيذاً لفكرة الخلود ، ونجدهم يفكرون في الوسائل التي تحفظ جثث موتاهم وتحنيطها مما جعلهم ينبغون في علوم الكيمياء والتحنيط ، ونجدهم يتفننون كذلك في ابتكار الأساليب العسكرية لمحاربة أعدائهم .

ومما يذكر أن الكهنة – وهم يكونون الأرستقراطية الاجتماعية والفكر آنذاك – كانوا يقومون بكثير من الأعمال ، فقد أخضعوا لنفوذهم معظم الفنون والحرف ومختلف الأنشطة الفنية العليا ، وكانوا يعلمونها لمن يريدون ، وليس لكل من يريد تعلمها ، كما كانوا يوجهونها الوجهة التي يريدون ، حتى أنه يمكن القول ، أن الكهنة عملوا بما لديهم من سلطات واسعة على صهر الاتجاهات العلمية والفنية والحرفية في بوتقة التقاليد التي كانوا هم أنفسهم يوجدونها ويعملون على تنميتها ، وكانوا يعتبرون الخروج عن هذه التقاليد ، كفراً وزندقة ، بل يُعد ذلك ، ثورة على الإله تستوجب غضبه ، على أن طبقة الكهنة هذه كانت تتفاوت فيما بينها من حيث الوظائف التي كانوا يقومون بها حسب نوعية الوظيفة(١٤) .

أما الكتبة (الكُتاب) المصريون ، الذين كان المجتمع المصري القديم يشتمل على عدد كبير منهم ، فكانوا يتولون المحافظة على المعابد وسجلات الدولة وكتابة المراسلات .

ونتناول فيما يلي بعض نواحي الحياة التعليمية :

يرى أحمد بدوي ، ومحمد جمال الدين مختار(١٥) أن الحياة التعليمية تتنوع كما يلي :

(أ) مصادر التعليم عند الفراعنة :

من أهم هذه المصادر :

١- **نصائح الشيوخ والحكماء وتعاليمهم :** إذ تعتبر تعاليم الشيوخ من مشاهير العرفاء والحكماء من الأمهات التي نستقي منها معارفنا عن دوافع التربية وأهدافها وفلسفتها ، وتاريخ مصر القديمة حافل بالكثير من حكماء مصر وعرفائها على مدى العصور .

٢- **ما تحمله التصاوير وما تعبر عنه الرسوم** في آثار الفراعنة من تراث المدرسة ممثلاً في التدريبات والتمرينات والمدرسة ، ثم ما نجده تعبيراً عن نوعية المناهج ومواد الدراسة وطرق التدريس وأساليب الحياة المدرسية ، سواء كان ذلك في لوحات وجدران تصويرية .

٣- **ما يوجد من الكتب** مثل الرياضة والطب (مع قلة الموجود منها) ومنها ما يحفظ في متاحب : (لندن وبرلين) .

٤- **ما يعبر عن القصص** ، المدون والرسوم ، الشعبي منه وغير الشعبي ودلالات ذلك عن الحياة المصرية القديمة .

(ب) نظام التعليم :

كان قدماء المصريين يرون بقاء الأطفال في المنزل حتى سن الخامسة ، وفيه يتعلم القواعد الأولى للحياة بالممارسة والتقليد مع توجيه الوالدين ، وكذلك يتعلم الطفل عن طريق لعبه مع رفاقه ومن ثم يذهب إلى المدرسة .

أما المدارس فكانت كما يلي:

- المدرسة العامة ، وتلاميذها من سن الخامسة إلى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة حيث يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة وبعض المهن ، وهذه دراسة عامة ، كما كانت الدراسة تتضمن تدريباً عملياً بعد سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة للراغبين من التلاميذ .

- المدارس الخاصة للأسرة المالكة والبلاط الفرعوني ، يتعلم فيها الأمراء وأبناء الطبقة الحاكمة ، الواجبات الملكية وكيفية مزاولة حياتهم المستقلة بالإضافة إلى بعض العلوم والفنون التي يتحتم عليها الإلمام بها .

- دراسة اللاهوت والمسائل الدينية ، فكان على راغبها الالتحاق بكلية "المعبد" وهي كلية دينية تقبل طلابها في سن السابعة عشرة وتتوقف مدة الدراسة على الوظيفة الدينية أو الكهنوتية التي يعد الطالب لها .

- الدراسة العسكرية فقد وجدت مدارس تعد هذا النوع من الدراسة يتعلم فيها الأمراء والنبلاء العلوم العسكرية وفنونها بالإضافة إلى علوم أخرى منها الكتابة ، و قد وجد إلى جانب ذلك نوع من التعليم خارج نطاق المدارس النظامية ، وهو ما يعرف في وقتنا

الحاضر باسم "التلمذة الصناعية" حيث يتتلمذ الطلاب على أيدي الصناع المهرة لحرفة من الحرف كتدريب حرفي أو مهني لهم .

- التعليم العالي ، فيغلب على الظن أنه كان يتم في المعابد لارتباط العلوم في مصر القديمة ، بالعقيدة ، ارتباطاً وثيقاً ، فالمعروف مثلاً أن الطب كان يدرس في المعابد الكبيرة ، كما كانت تدرس بها الرياضيات والفلك والنحت والموسيقى والجغرافيا وغيرها.

(ج) ومحتوى التعليم ومناهجه :

كانت مناهج التعليم تعمل على تحقيق الأهداف التربوية والاجتماعية إلى حد كبير والتي من أهمها مراعاة احتياجات المدنية المصرية وطبيعة الحياة فيها ، وكان من أبرز موضوعات هذه المناهج .

(١) القراءة والكتابة :

ونشمل تعليم اللغة الهيروغليفية وقراءة المخطوطات وكتابتها وكان هناك اعتقاد بين قدماء المصريين ، أن الآلة "توت" إله الحكمة هو الذي أخترع الكتابة وعلمها لسكان الوادي الأوائل ، ويبدو أن الكتابة كانت تصويرية في بادئ الأمر ثم تطورت إلى حروف هجائية بلغت (٢٤) أربعة وعشرين حرفاً .

أما اللغة ذاتها فقد كانت هناك لغتان ، لغة للتخاطب أو الحديث وهي ما تعرفه الآن باللغة العامية أو الدراجة ، ولغة التعليم أو الكتابة ، وهي ما تعرف بالفصحى أو لغة العلم .

كذلك وجدت بمصر الفرعونية ، لغات أجنبية ، تعلمها أبناؤها في مدارسهم لإعدادهم للاتصالات الخارجية ومراسلة الدول المختلفة ، تمشياً مع اتجاهات الدولة ومقتضيات صلاتها واتساعها .

وأما الكتابة ، فلم تكن من الأمور السهولة على من يريد تعليمها ، إذ كانت اللغة القديمة تحتوي على ما يقرب من (٥٠٠) رمز تمثل الحروف الهجائية بكافة صورها يحتاج إلى وقت طويل ، سواء لتعلمها أو الكتابة بها ، فضلاً عما تستلزمة من جهد ، ولذلك كان الكتبة المصريون يعفون من الأعمال اليدوية بل وينالون منحاً ملكية من الحكام يمكن إعتبارها كطبيعة عمل في وقتنا الحاضر .

والمعروف أن الكتابة المصرية مرت بأطوار عديدة ، إذ أنها سجلت – أول الأمر – بإشارات وصور مرسومة تمثل سائر ما في الطبيعة من كائنات كالإنسان ، والحيوان ، والطائر والنبات وما تركه الإنسان من آثار .

وقد أطلق الإغريق على الكتابة الفرعونية في هذه المرحلة ، أسم الكتابة الهيروغليفية ، أي النقوش المقدسة ، حيث كانت تستخدم في النقش على جدران المعابد وصفحات المقابر .

وحتى يسهل استخدام الخط الهيروغليفي في شئون الحياة العامة ، فطن المصريون – منذ العصور الأولى – إلى نوع مبسط من الرسم ، سمى "الكتابة الهيريطقية" ، نظراً لأن الكهنة استخدموها كثيراً في مختلف العصور ، وبها دونت أغلب آداب المصريين على أوراق البردي وقطع الفخار والخشب ، كما كانت منتشرة بين كثير من طوائف الشعب .

وفي العصور المتأخرة ، كتب المصريون لغتهم بخط مجرد أي خط شعبي لا يكاد يتضح فيه أصل الإشارات القديمة إلا بمقدار قليل .

وقد عرف هذا الخط باسم الكتابة الديموطيقية ، أي الشعبية ، وذلك نظراً لانتشار استخدامها في كل شئون الحياة العامة ، ومن ثم ، نستطيع أن نقول إن الكتابة المصرية مرت بأطوار ثلاثة من نقش على الحجر (هيروغليفي) إلى التسطير المختصر السريع (هيريطيقي) وأخيراً إلى التسطير الشعبي (الديموطيقي) .

(٢) الأدب :

شمل كثيراً من ألوان الأدب ، فمثلاً وجد الأدب الديني ، وقد احتوى على كثير من المواعظ والنصائح التي تحث على السلوك الطيب ، كما تضمن الحكم والأمثال الأخلاقيات ، ومن ذلك "نصوص الأهرام" ، حيث وجدت منقوشة على جدرانها ، كذلك وجدت القصص كما في قصة "سنوحي" ووجدت الأساطير وكتابات عن الرحلات والمغامرات بالإضافة إلى الأغاني والأهازيج الدينية والفلكلور الشعبي .

(٣) العلوم المختلفة :

اشتملت مناهج التعليم على علوم متنوعة ، ولو أن الكهنة – فيما يبدو – قد استأثروا بمعرفة كثير من العلوم ، ومن بين العلوم التي كانت تدرس علوم الكيمياء والتحنيط وبعض علوم الصيدلة كاستخراج الأدوية من العقاقير والنباتات ومعالجة الأمراض المختلفة مثل اضطرابات المعدة وآلام الأسنان وأمراض النساء وبعض أنواع الجراحة وطب العيون ، حيث وجد متخصصون في معظم هذه الفروع ، كذلك كانت هناك علوم كالرياضيات والجبر والهندسة

، وقد كانت مهنة الهندسة من المهن الهامة في العصور الفرعونية وذلك لاهتمام قدماء المصريين بإقامة الأهرامات والمعابد وغيرها من المنشآت .

وبالرغم مما عرف من تقدم علمي ملحوظ في تلك العصور ، فإنها لم تخل من وجود السحر والخرافات في بعض الأحيان .

طرق التدريس :

شملت طرق التدريس ، النواحي الآتية :

(أ) بالنسبة للقراءة والكتابة :

اتبع في تعليمها التقليد والتكرار ، بما يتلاءم وصعوبة اللغة المصرية القديمة وبخاصة كثرة الرموز .

(ب) بالنسبة للأدب والقصص :

استخدمت طريقة الحفظ والاستظهار ، وبخاصة فيما يتعلق بالدين والطقوس الدينية بصفة عامة – أما مناقشة النصوص الدينية وشرحها وتفسيرها ، فكانت قاصرة على كبار الكهنة حفاظاً لها لقداستها .

(ج) بالنسبة للمهن والحرف :

اتبع نظام أقرب ما يكون إلى نظام التلمذة الصناعية المعروفة لدينا الآن حيث يعتمد على التقليد والممارسة العملية ، كذلك اتبع هذا النظام بالنسبة للكتابة ومن يحترفون الكتابة .

(د) المعلمون :

كان الكهنة يمثلون فئة المعلمين بصفة عامة ، فكانوا يتولون تدريس الدين والأدب والعلوم والرياضيات وبخاصة في المراحل التعليمية العليا ، أما تعليم الكتابة والإشراف على نسخ المواد المكتوبة ، فكان يقوم به موظفون من قبل الحكومة وتجمع الآراء على أن الكهنة ، كانت لهم السيطرة على التعليم النظامي ، وذلك بتعاونهم الوثيق مع الهيئة الحاكمة ، وعلى مدى العصور المختلفة ، الأمر الذي مكن للثقافة المصرية القديمة من أن تستمر محتفظة بطابعها إلى حد كبير .

(هـ) الطـــلاب :

(أ) **بالنسبة للبنين** : تشير الكتابات القديمة إلى أن أعداد التلاميذ في مراحل التعليم لم تكـن كثيرة ، وبخاصة في مراحل الدراسة العليا ، ولعل ما كان يتبع معهم من شدة وقسوة ونظام صارم ، قد أشاع في نفوس الراغبين منهم الخوف والرهبة بالإضافة إلى طبيعة المناهج الدراسية ، هذا من وجهة أخرى ، فربما كان لتدخل الكهنة في شـئون التعلـيم ورغبتهم في أن يعلموا من يريدون من الناس وفي مجتمع طبقي ربما كان لـذلك كلـه دخل في قلة أعداد التلاميذ .

(ب) **بالنسبة للبنات** : بالرغم مما كان للمرأة من مكانة في المجتمع المصري القديم ، إلا أنه لم يكن يسمح للبنات بالالتحاق بالمدارس ، ربما كان لطبيعة تلك العصور والمجتمعـات ونوعية التعليم ومناهجه ، دخل في ذلك ، على أن بنات الطبقات الاجتماعية الراقيـة ، كن يدرسن في منازلهن وعلى أيدي مدرسين خصوصيين في أغلب الأحيان .

(و) الحياة المدرسية :

تشير السجلات التاريخية في قسوة الحياة المدرسية في المجتمع المصري القديم واتسامها بالعنف في كثيرمن تنظيماتها ، فقد عرفت العقوبة البدنية لتأديب التلاميذ ، واستخدمت العـصا لتقويمهم واستخدام الجلد كوسيلة لعقوبتهم ولكن إلى جانب ذلك ، وجد – في بعض الأحيـان – النصح والإرشاد ، وضرب المثل والقدوة الحسنة ، في الخلق الطيب ، وطلـب العلـم والجـد والاجتهاد .

(ز) إدارة التعليم وتمويله :

ربما لا نكون مغالين ، إذا قلنا أن إدارة التعليم في مـصر الفرعونيـة ، كانـت إدارة مركزية ، حيث كانت الحكومة بما لديها من سلطات رسمية ودينية ، هي التي تـشرف علـى التعليم وتعتبره من مسئولياتها وتولى موظفوها إدارته والعمل به .

كذلك كانت الدولة تتولى تمويل التعليم والإنفاق عليه مقابل مصروفات ضـئيلة يـدفعها أولياء التلاميذ (بما يعني في وقتنا الحاضر بالرسوم المدرسية بأبسط صورها) .

وكانت هذه المجانية ، موجودة في المدارس العامة وفي كليات المعابد ، بالإضافة إلـى ذلك ، كانت تقدم للتلاميذ ، وجبات غذائية مجانية في معظم مراحل التعليم .

ثالثاً : جامعة الاسكندرية :

أوضح سعد مرسي أحمد (١٦):-

أن البطالمة ورثوا مصر بعد موت الإسكندر المقدوني ، وإليهم يرجع الفضل في جعل الاسندرية مركزاً ثقافياً عالمياً ، بل إنها انتزعت القيادة الثقافية من أثينا الإغريقية .

وقد أثرى ملوك البطالمة هذه المكتبة بحوالي سبعمائة ألف لفافة بردي من المصنفات اليونانية والمصرية والعبرية ، وغيرها .

كما أقبل على الاسكندرية العلماء والشعراء من شتى أنحاء العالم المعروف وقتئذ ، من القمم الذين أعطوا الاسكندرية اسماً لامعاً لجامعتها ومكتبتها ، حتى سميت هذه الحقبة باسم **الأدب الاسكندري** ، وذلك لشدة تأثير مدرسة الاسكندرية على الإنتاج الأدبي في العالم في ذلك الوقت ، ولم يقتصر التأثير الاسكندري على ميدان الأدب بل قامت بها حركة علمية ارتفعت بعلوم الرياضة والطبيعة والفلك والهندسة إلى آفاق جديدة متقدمة ، وكان من علماء الاسكندرية "إقليدس" العالم الرياضي والهندسي "أرشميدس" صاحب قانون الطفو ، و "أراتوستنيس" صاحب المحاولة الكبرى لقياس محيط الكرة الأرضية .

وبوجه عام ذكر سيد إبراهيم الجيار : بأن التعليم المصري القديم اهتم بثلاث نواح هي :

(التدريب المهني ، وتعليم الكتابة ، وتوجيه السلوك) ، ولم تكن هذه النواحي منفصلة عن بعضها البعض خلال العملية التعليمية وإنما كانت مترابطة ببعضها البعض من خلال أوجه النشاط التعليمي في المستويات المختلفة (١٧).

وقد غلبت الصبغة المهنية على التعليم بشكل واضح فكان يهدف إلى الحصول على مهارة خاصة في نوع معين من فروع الحياة العملية وبخاصة في المراحل العليا من التعليم ، وهي ما يقابل المرحلة الثانوية والتعليم الجامعي في وقتنا الحاضر .

وكان التعليم العالي في مصر القديمة يوجد في الأديرة الكبيرة ويخدم العديد من المهن ، **ومن أشهر جامعات ذلك العصر "جامعة أون" بعين شمس** ، وكان يدرس بهذه الجامعة علوم عديدة منها الرياضيات وعلم الفلك والطبيعة والطب ، وقد ألتحق كثير من العلماء المشهورين في العالم القديم بعض الوقت بهذه الجامعة ، وظلت عين شمس لفترة زمنية مناراً للعلم.

كما وجدت معابد أخرى كان يتلقى فيها الطلاب تعليماً عالياً مثل الكرنك وطيبة وتل العمارنة ، اهتمت بدراسة الجغرافيا والفلك والتاريخ والنحت والرسم والقانون والطب والهندسة.

أما التعليم العسكري فقد كان يتم في الثكنات العسكرية ويشمل النواحي الثقافية والرياضية بجانب تعلم فنون الحرب المعروفة في ذلك الوقت .

تعقيب :

لقد كانت التربية المصرية حافظة للثقافة ، وعاملة على استمرار بقائها ، وإذا كانت مصر قد حققت تقدماً هائلاً في ميادين مختلفة ، فقد يرجع الفضل في ذلك إلى طبقة مختارة كان لديها من الوقت والتفرغ والبواعث ما أتاح لها فرص التفكير والانتاج .

ولا يجب أن نترك زمن الفراعنة دون أن نشير بفخر واعتزاز إلى ما يلي :

١- الحياة الاجتماعية أو بمعنى آخر القوى الاجتماعية التي كانت مؤثرة في الحياة المصرية القديمة كانت على درجة عالية من الامتياز حيث النصائح التي تمت على احترام الوالدين – الاحتفاظ بزوجة واحدة وتقديرها – والتدرج الطبقي المعتدل .

٢- الحياة الدينية أثرت في الحياة المصرية القديمة ، فعلى الرغم من أن المصري القديم عبد الحيوانات والنباتات والأنهار ... إلى ما شابه ذلك ، لكنه اعتقد في الحياة الآخرة ، ولعل عملية التحنيط لخير دليل على ذلك .

٣- الناحية السياسية : كان الفرعون ورجال البلاط والكهنة يعملون كفريق واحد فهم الذين يوجهون الحياة التعليمية في مصر القديمة لصالح مصر .

٤- كان غرض التربية كما ظهر في التعليم النظامي في المدارس هو تنمية ثقافية بعامة وتنمية مهنية بخاصة ، وكان هناك فنون وحرف كثيرة جداً بالقياس إلى غير مصر من الدول في ذلك الحقبة التاريخية .

٥- كان النظام في المدارس قاسياً ، وكانت المحاسبة للتلاميذ شائعة ، كما وجدت إلى جانب ذلك النصائح .

٦- مصر الدولة الوحيدة مقارنة بالدول الأخرى في ذلك الوقت لم يوجد لديها نظام الرق أو العبيد ، وهذا ما تفرد بها نظامها الاجتماعي .

أسئلة على الفصل الرابع

(١) "أثرت كل من القوى الدينية والقوى الاجتماعية على الحياة في المجتمع المصري القديم" ناقش ذلك ؟

(٢) "بدأت الحضارة المصرية القديمة من لا شيء وانتهت إلى كل شيء" وضح ذلك مبيناً أثر ذلك على التعليم ؟

(٣) أكتب مذكرات فيما يلي :

أ- مصادر التعليم عند الفراعنة مع عقد مقارنة مع المصادر الحالية .

ب- الحياة الاجتماعية في مصر .

ج- جامعة الاسكندرية القيادة الثقافية بعد أثينا الإغريقية .

الفصل الخامس
التربية في المجتمع الإغريقي

- تقديم .
- أولاً : بلاد الإغريق :
  - أ- أسبرطة .
  - ب- أثينا
- ثانياً : القوى الثقافية المؤثرة في المجتمع الإغريقي .
- ثالثاً : أفلاطون .
- تعقيب
- أسئلة على الفصل .

الفصل الخامس
التربية في المجتمع الإغريقي

تقديم :

يذكر سعد مرسي أحمد ، وسعيد اسماعيل(١٨) : أن التربية اليونانية القديمة تمثل فكرة ناضجة عن الحياة ومستواها نشأ عنها نضج الفكرة التربوية فضلاً عن أن الثقافة الإغريقية أحتوت على أروع ما شهده الإنسان في العصور القديمة في المجال التربوي ، ومثلت أفكارها ونظرياتها في الفلسفة والتربية ينابيع قصدها العديد من الفلاسفة والمربين في العالم سواء في الشرق أو الغرب .

كذلك فإن الجنس البشري لا يكاد يجد شيئاً في ثقافته الدنيوية ، فيما عدا إلا أنه ليس مديناً به لليونانيين فالألفاظ الدالة على المدارس والتعليم وما فيه من علوم الطبيعة والحياة والتشريح والصحة والحساب والهندسة والتاريخ والفلسفة والدين والبلاغة والشعر وعلم الأخلاق والسياسة ، وكذلك المثالية وحب الإنسانية ، والديموقراطية ، والاستبداد ، والملاعب ، والمسالي ، والمآسي ... كل هذه الألفاظ لصور الحياة اليونانية ولثقافة اليونان التي نضجت بفضل نشاطهم المتنوع .

تاريخ التربية عند اليونان موضوع مهم لأن الإغريق من الشعوب القديمة التي لها تاريخ معروف ويعتقد كثير من المفكرين الغربيين أن الثقافة الإغريقية تعتبر أساساً للثقافات التي ظهرت بعد ذلك في أوروبا ، وكثير من الأفكار التي نعرفها اليوم مثل فكرة الديموقراطية ولدت أصلاً في اليونان .

أولاً : بلاد الإغريق :

(أ) التربية في أسبرطة :

يرى سيد إبراهيم الجيار (١٩) : أن أسبرطة تقع في قلب شبه جزيرة "البليونيز وتقع في منطقة وعرة نسبياً تحيط بها سهول ، وفي نهاية هذه السهول توجد جبال منيعة مكنت أسبرطة من أن تكون على جانب من المناعة ضد المغيرين هذا الموقع جعلها أيضاً بعيدة عن المؤثرات الخارجية التي تعرضت لها أثينا ولذلك فإن الاتجاه الفكري في أسبرطة والحياة الفكرية فيها كانت محدودة لأن الاختلاط بالمؤثرات الخارجية قد يحدث هزة ثقافية تؤدي إلى

انبعاث أفكار جديدة ، لقد كانت أسبرطة نظرتها محلية إقليمية وبخاصة في مجالات الفكر والأدب .

والحقيقة أن الموقع الجغرافي لأسبرطة هو الذي أملى عليها نوع التربية التي يجب أن تتبعها فلأسبرطة طبيعة جغرافية خاصة كما تعرضت لعوامل تاريخية خاصة أيضاً ، فأثر كل هذا منهاجها التربوي حيث وجدت أسبرطة نفسها مهددة دائماً بخطر مزدوج خطر قيام العناصر المغلوبة على أمرها – في داخلها – بالثورة ثم خطر قيام الأعداء الخارجيين بشن الغارات عليها، فرأت أن تستعين بمواطن قدير مدافع ومهاجم معاً .

ولذلك كان هدف التربية هو تحكم الدولة تحكماً تاماً في مصائر الأفراد وكان طابعها جامداً يسعى إلى تشكيل الفرد ليكون جندياً محارباً لأن هذا من مقتضيات الحياة الاجتماعية والسياسية في أسبرطة وبحكم ظروفها الجغرافية وبحكم التنافس بينها وبين أثينا وعلى كل كان نظام الحكم ديكتاتورياً تتولاه أسر أرستقراطية قليلة وقد قسمت قوانين (ليكرجس) المجتمع الأسبرطي إلى ثلاث طبقات :

(١) **طبقات السادة** : ويعيشون في أسبرطة على منتجات الحقول التي يمتلكونها في الريف ويزرعها العبيد .

(٢) **طبقة الأحرار** : ويعيشون في مدن صغيرة مجاورة لأسبرطة ويعملون بالتجارة أو الصناعة في مدنهم .

(٣) **طبقة الأرقاء أو العبيد "الهيلوت"** : ويكونون السواد الأعظم ويقومون بخدمة السادة.

وكانت سياسة أسبرطة تقوم على التفوق العسكري ، وكان الجيش عماد السلطة فيها ويتولى قيادته السادة حتى يكونوا دائماً في مقدمة المجتمع الأسبرطي .

الحياة التعليمية من واقع التربية الأسبرطية(٢٠) :-

(أ) هدف التربية

أنه كان هناك نظام تعليمي يحقق هدف التربية في أسبرطة والتي من أبرز اتجاهاتها إخضاع الفرد لنفوذ الدولة فقد كانت الدولة تشرف على تربية الأفراد منذ ولادتهم وهي التي تحدد أحقيتهم في الحياة أو الموت بموجب اعتبارات قياسية خاصة يقوم بتنفيذها موظفو الحكومة وهم الذين يقررون استمرارهم في الحياة أو التخلص منهم وهم صغار.

على أن يسمح لمن يصلحون للحياة بالبقاء في منازلهم تحت إشراف والديهم ورعايتهم ثم تدخلهم الحكومة في معسكرات أو مؤسسات منظمة من سن السابعة ويبقون حتى سن الثامنة

عشرة في حياة يغلب عليها التقشف والقسوة وفي نظام صارم عنيف ، وكان من بين أنشطتهم في هذه الفترة قيامهم بالتدريبات الرياضية والبدنية القاسية ، يتعرضون فيها للمخاطرة ولظروف الجو حتى تكتسب أجسامهم القوة اللازمة للتدريبات العسكرية ثم من سن (١٨) الثامنة عشرة إلى سن (٢٠) العشرين كانت التدريبات العسكرية قبل أن يتدرجوا في صفوف الجيش حتى سن الثلاثين وعليهم – خلال تلك المرحلة – أن يشتركوا في كل الحروب الدفاعية والهجومية للبلاد ، بل أن حياة الأسبرطي كانت تدريباً مستمراً للحرب فكان الشبان ينامون في المعسكرات ويعدون إعداداً عسكرياً قاسياً ويظلون على صلة دائمة بها ويأكلون في المطاعم العسكرية حتى سن الستين ، وكان لا يسمح للفرد إلا بقدر قليل من المال والحاجات العينية مما يحتاجه لبعض الضروريات .

والمعروف أنه في سن الثلاثين يصبح الشبان مواطنين كاملين ويجبرون على الزواج لصالح الدولة ولكنهم يستمرون في معيشتهم في المعسكرات كجيش على أهبة الاستعداد وذلك بالإضافة إلى ما تمليه عليهم المواطنة من واجبات .

أما بالنسبة للبنات فكن يعشن في منازلهن وقد عهدت تربيتهن إلى الأمهات ، ولكن تربيتهن بالرغم من ذلك كانت تشبه تربية البنين وكن يقسمن – مثل البنين – إلى فصول أو جماعات تشرف عليها الدولة إشرافاً تاماً ولكن يخرجن حافيات ولا يستر أجسادهن إلا ملابس رقيقة ويجبرون على البقاء في الهواء الطلق فترات طويلة يتعرضن لألوان كثيرة من الصعاب كالتدريبات الرياضية والبدنية العنيفة والاشتراك في مباريات القوة كالجري والمصارعة والسباحة ومما يذكر أنه لم يكن في حياة الأسبرطيين ما يمنع من اختلاط الفتيات بالشباب أو الرجال فقد كان يسمح لهن بمشاهدة الشباب أثناء تمرينهم الألعاب والتدريبات بأنواعها بل وكن يتصارعن معهم أحياناً وأن كان يمارسن مختلف التمرينات في ملاعب خاصة بالبنات .

والواقع أن هذا النظام القاسي كان له أثره على المرأة الأسبرطية فقد أنتج نساء وأمهات من نوع خاص في عالم التربية ، فقد كان أثرها على الأولاد والرجال ملحوظاً وقد احتفظ الأسبرطيون باحترامهم للمرأة فهي في نظرهم تماثل الرجل وتعاونه ولا تقل عنه في المكانة وكما كان المواطن المحارب هو المثل الأعلى للرجال كانت أم المحارب هي المثل الأعلى للنساء وكانت الأم تودع أبنها الجندي وهو في طريقه إلى الحرب يقولها :

" .... عد بدرعك أو محمولاً عليه " ..

وبالرغم مما كان يتبع من أساليب القسوة في تربية البنات كان الرقص من الأمور المحببة لهن فكانت البنات يمشين في المواكب والاحتفالات ويرقصن ويغنين للشباب يمدحن

الشجعان منهم ويذممن الجبناء وكانت أشهر الرقصات هي التي تساعد الشباب على الاستعداد للحرب .

(ب)محتوى التعليم ومناهجه :

لما كانت أهداف التربية الأسبرطية تتركز في إعداد المواطنين ليكونوا محاربين في دولة عسكرية لذلك كان كل شيء في العملية التربوية موجهاً لصب الشباب في القالب الذي تراه الدولة ضرورياً لاستمرار الوضع فيه على ما هو عليه ، وقد نجح الأسبرطيون في ذلك نجاحاً ملحوظاً بعد أن استخدموا الأساليب القاسية لتحقيق هدفهم .

أما بالنسبة للمناهج التعليمية فكانت التربية الأسبرطية تفتقر إلى العلوم العقلية والجمالية، إذ كان طابعها الأساسي الناحيتين العملية والخلقية .

وبالنسبة للقراءة والكتابة :

لم يكن الأسبرطيون يهتمون بتعليم أبنائهم القراءة والكتابة ولكن من تعلمها فقد تعلمها بطريقته الخاصة وهؤلاء يمثلون نسبة قليلة ، ذلك أن التربية العسكرية قد طغت على الجوانب الأدبية في التعليم .

وبالنسبة لعلوم الحساب والمنطق والنحو والبلاغة وغيرها :

فلم يوجه الاسبرطيون عنايتهم لدراستها – ومما يذكر أنه كان يسمح للنشئ بالاستماع إلى محادثات شيوخهم ومسنيهم إما في أوقات تناول الطعام ، وإما أثناء السير في الطرقات ، وقد كان لذلك أثره في تنمية مدارك الأطفال وتعويدهم سرعة البديهة واللياقة في الحديث وتمرينهم على التمسك بمبادئ العدالة والشرف .

وبالنسبة للشعر والأشيد والموسيقى :

بالرغم من فقر الحياة العقلية للاسبرطيين إلا أنهم كانوا يوجههون عنايتهم إلى الشعر فكان أطفالهم وشبابهم يتعلمون أنشاد القوانين وأغاني الحرب ، كما كانوا يرددون أشعار "هوميروس" والأناشيد الوطنية والدينية ، أما الموسيقى فكانوا يستخدمونها لتدريب المواطنين على الجندية وليس لتقدير ما فيها من جمال أو فن بل لتقوية الروح المعنوية في الحرب ، بالإضافة إلى أنها تذكرهم بماضي بلادهم وعظمة أبطالهم ، ومع أن القسوة والعنف كان شعار التربية الاسبرطية إلا أنه كانت هناك تربية خلقية في كثير من الأحيان والتي من أهم أساسياتها تقديس وطاعة الرؤساء والأمانة والصدق والتواضع والتضحية بالذات والولاء التام للدولة – (كما تضمنته تعاليم ليكرجوس) .

والمعروف أن الاسبرطي كان سريع البديهة إلى حد كبير .

(ج) المعلمون :

كان معلمو التربية البدنية والعسكرية من موظفي الحكومة (الدولة) أما بقية مسئوليات التربية فكانت تلقي على كاهل الذكور الكبار في المجتمع وربما كان هذا إحياء للعادة البدائية للقبيلة ، ولو أنه من الأمور الضرورية في أي مجتمع ديمقراطي في الوقت الحاضر ، اهتمام الإباء والكبار بتربية الأطفال والشباب وتحمل مسئولية توجيههم والإشراف عليهم ، إلا أن التربية عند الاسبرطيين ارتبطت بالهدف العسكري الذي كانت تهدف إليه .

نقد التربية الاسبرطية من وجهة نظر سيد إبراهيم الجيار

نستطيع في ضوء ما سبق أن نوضح طبيعة هذه التربية على النحو التالي :

(أ) من مزاياها :

١- مراعاة حاجة الدولة وما يدور فيها من ظروف .

٢- صبغ الأمة بصبغة قومية خالصة .

٣- أبرزت للعالم أمثلة رائعة في البسالة واحتمال الآلام .

(ب) من مساوئها :

١- شدة اهتمامها بالجماعة والحكومة مع إهمال الفرد .

٢- تشجيع حب الذات ولذلك أعلت من شأن اسبرطة دون إعلاء شأن الإغريق .

٣- إهمال التربية العقلية والجمالية والعواطف الرقيقة .

٤- الخشونة والقسوة أفقدتا الاسبرطي حب العمل .

٥- أبرزت رجالاً قساة لا يعرفون الإنسانية .

٦- الوازع الخلقي فيها غير عميق .

٧- وأد الأطفال الضعاف والمشوهين .

٨- فصم عري الأسرة .

ويمكن القول أنه إذا كانت التربية الخلقية في اسبرطة ترمي إلى تحقيق بعض الفضائل كانت نتائجها ذات آثار قاسية بل ووحشية أحياناً (٢١).

(ب) التربية في أثينا :

أن أثينا بحكم موقعها الجغرافي وبحكم قربها من ميناء "بيرايوس" دولة (أو مدينة) بحرية الاتجاه ، ولذلك اشتهرت أثينا بتجارتها بأسطولها البحري ، كما اشتهرت بنفوذها السياسي على عدد من الجزر القريبة منها وعلى الساحل الشمالي في أسيا الصغرى ، وقد أدى هذا أيضاً إلى أن تقع في صراع طويل مع الفرس مما ساعدها على أن تبني مجدها ونفوذها السياسي والأدبي على مقاومتها للفرس الذين حاولوا الإغارة على بلاد اليونان .

كان مجتمع أثينا مجتمعاً طبيعياً في تكوينه حيث يتكون من ثلاث طبقات في صورة هرم قاعدته طبقة الأرقاء أو العبيد وطبقة الأجانب المقيمين في المدينة الذين لهم حق المشاركة في حياتها السياسية ، والطبقة الأرستقراطية .

طبيعة التربية في أثينا يؤكد سعد مرسي أحمد(٢٢):-

أنه ربما لم تكن بين التربية الأثينية والتربية الاسبرطية عوامل مشتركة إلا في القليل اليسير .

وكانت الدولة في أثينا تتطلب من الفرد أن يسير في حياته بالحكمة يحدوه العقل في تأدية الواجبات المقاة على عاتقه وهو حر في الكيفية التي يقضي بها وقت فراغه ، كما كانت تعمل أثينا على حفظ كيان الأسرة – على العكس من اسبرطة – باعتبارها وسيلة من وسائل نمو شخصية الطفل وتشكيلها ، وعليها ألقي عبء مسئولية التربية فلم تتحكم الحكومة الأثينية – كما تحكمت اسبرطة في تنشئة الأطفال بل تركت ذلك الوالدين .

أما التعليم فلم تحاول الدول في أثينا أن تخضع شئونه لرقابتها كما فعلت اسبرطة وإنما اكتفت بالإشراف عليه حتى إذا كانت أوائل القرن السادس قبل الميلاد أصدر حكيمها ومشرعها "سولون" قوانينه المنظمة للتعليم ، أما قبل ذلك فكان هناك عدد من المعلمين يتردد عليهم الناشئة ويتعلمون منهم مقابل أجر معلوم .

وقد أدى الشعور بالفردية الذي كان يميز الحياة في أثينا إلى ترك شئون التعليم فيها في أيدي الإباء أكثر مما كان الحال في اسبرطة ، ولا يعني هذا أن الدولة كانت لا تتدخل مطلقاً في أمور التعليم إذ أنها كانت تقوم ببعض الوظائف والخدمات .

أما هدف التربية الأثينية فكان يتركز في إيجاد التوازن في شخصية المواطن الأثني وإنماء روح الحرية فيه وذلك على نقيض من اسبرطة أو بمعنى آخر هدفت أثينا إلى إيجاد تناسق بين روح مرهفة تحس بالجمال وتقدر الأدب وجسم رشيق قوي أي الإنسان المتكامل

جسمياً وعقلياً وخلقياً كذلك كانت التربية الأثينية تعمل على تشجيع الاختلاف في الرأي والمناقشة التي كان يتمرن عليها الأثينيون في مجالاتهم العامة .

وأما النظام التعليمي فكان يسير على النحو التالي حيث يرى بعض العلماء(٢٣):-

١- بقاء الأطفال مع أسرهم (في منازلهم) حتى سن السابعة ويترك أمر تربيتهم إلى الأمهات حيث يحظون بعناية فائقة منهم وبإشراف الوالدين عليهم وكانوا يتبعون الطريقة الاسبرطية نفسها للكشف على الأطفال فكان الوالد هو الذي يقوم بعملية الكشف بدلاً من موظفي الدولة .

٢- المدرسة الابتدائية من سن السابعة ويبقى بها حتى سن الخامسة عشر وكانت سن الدخول ومدة الدراسة والمواد التي تدرس تعتمد إلى درجة كبيرة على مركز العائلة ، وكانت القوانين تقضي على الوالد بأن يعلم ابنه في المدرسة ، ومن يخالف ذلك يعد مذنباً فضلاً عن أنه لا يستطيع أن يطلب من ابنه المساعدة في كبره على أن مدة هذه الدراسة كانت تتراوح بين ثمان وتسع سنوات غالباً وكانت مطالب الدولة تقضي بإعداد النشئ رياضياً وموسيقياً ، ولذلك عملوا على إنشاء نوعين من المدارس كان على الطفل الأثيني أن يحضرهما فيقسم اليوم المدرسي الذي كان يبدأ قبل طلوع الشمس وينتهي بعد غروبها بين حلبة المصارعة والتمرينات الرياضية وقاعة الموسيقى .

٣- في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة حيث تنتهي دراسة الأدب والموسيقى والتمرينات الرياضية البسيطة لتبدأ مرحلة جديدة لمدة عامين تقريباً حيث ينتقل الشبان إلى الجمانز يوم "فيتلقون التدريبات الرياضية على يد موظفي الحكومة وتحت إشراف ما يسمون بالمرشدين الأخلاقيين ، ولم يكن كل الشبان يلتحقون بهذا التعليم إذا كان كثيرون منهم يتجهون للتكسب ببعض الصناعات .

٤- في سن الثامنة عشرة وبعد أن يثبت أن الشاب مشبع بالنواحي الخلقية والجسمية اللازمة للمواطن المستنير يدرج اسمه ضمن المواطنين الأحرار وعندئذ يقسم يمين الإخلاص والولاء وللآلهة ولتقاليد الشعب الخلقية ، وفيها يتدرب الشاب على فنون الحرب والجندية وحياة المعسكرات وذلك داخل ثكنات ذات نظام عسكري صارم .

محتوى التعليم ومناهجه :

كانت أهداف التربية ومناهج التعليم فيها أهدافاً ومناهج عريضة ساعدت على فهم الأسلوب الديموقراطي في المجتمع على عكس أهداف التربية الأسبرطية ومناهجها تلك الأهداف والمناهج الضيقة والموجهة .

فقد اهتمت أثينا بتزويد الشباب بأسس عقلية وبدنية وعسكرية لإعدادهم للمواطنة ، ولم تكن تهتم بواحد من هذه الأسس أكثر من بقيتها بل كان الاهتمام بها جميعها ليتم التوازن الكامل الصحيح لشخصية المواطن الأثيني ، وهذا هدف يستحق التقدير ولكنه مع ذلك لم يكن هدفاً كاملاً إذا لم يعط مجالاً للتربية المهنية أو الحرفية وهي الأمر الأساسي في أية ثقافة ديموقراطية. هذا الاتجاه أورث أوربا الاهتمام بتنمية النواحي العقلية أكثر من الاهتمام بالنواحي الأخرى .

أما المناهج التعليمية فقد شملت كما اوضحها سيد إبراهيم الجيار(٢٤):-

١- **الرياضة البدنية** : وكان الطفل في المرحلة الدراسية ما بين سن السابعة عشرة يقضي أكثر من نصف حياته المدرسية في الألعاب الرياضية ، على أن فترة الإعداد للجندية كانت تشمل سنتين يقضيهما الشاب في الملعب وسنتين أخريين يقضيهما في حراسة الحدود.

٢- **الموسيقى والأشعار الهومبرية والشعر الغنائي والأغاني الدينية .**

٣- **القراءة والكتابة** : أما القراءة فقد كانت لها قيمة تربوية عظيمة وذلك لما تتطلبه من تدريب على التمييز بالإضافة إلى ما كانت تتطلبه من جهد ، إذ أن الكلمات كانت تكتب متصلة دون انقطاع فلا تفصل كلمة على الأخرى ، ولذلك كان من الضروري أن يعمل الطفل (القارئ) على معرفة الفكرة حتى يفهم ما يقرأه ، وكانت الطريقة التركيبية (الهجائية) هي التي تتبع في تعليم القراءة والكتابة إذ تعلم التلاميذ حروف الهجاء أولاً ثم يكونون منها مقاطع ثم كلمات ثم يبدأ التلاميذ الكتابة .

٤- **بعض المواد الدراسية مثل** : الحساب والرسم وبعض المعلومات الجغرافية المستنتجة من دراسة الألياذة "لهوميروس" .

٥- **وجد الرقص** : وكان عبارة عن حركات إيقاعية لجميع أعضاء الجسم وكانت تغلب عليه الصبغة الدينية أو الحربية .

المعلمون :

كان هناك ثلاث أنواع من المعلمين كما أوضحها سعد مرسي أحمد(٢٥) :-

- معلم اللغة ، معلم الموسيقى ، ومعلم الألعاب الرياضية .
- كان معلم اللغة يركز اهتمامه حول ما يمكن أن نسميه بالنمو العقلي للتلميذ فيتعلم الأولاد القراءة والكتابة والعد (الحساب) .
- أما معلم الموسيقى فكانت مهمته تنمية حاسة الإيقاع وتذوق الأنغام لدى التلاميذ ونلاحظ أنه في العصور الأولى للتربية الأثينية كان تدريس القراءة والكتابة يسير جنباً إلى جنب مع تدريس الموسيقى ، بمعنى قيام معلم واحد بتدريسها كلها ، في مدرسة واحدة ، وكان يطلق على هذه المدرسة وقتئذ "مدرسة الموسيقى" .

ولكن تدريس القراءة والكتابة – فيما بعد – انفصل عن تدريس الموسيقى وذلك عندما بدأ يقل الاهتمام بالموسيقى والنواحي الجمالية عما كان عليه من قبل .

- وأما تنمية القدرة البدنية فكان يعهد بها إلى معلم الألعاب الرياضية .

والجدير بالذكر أن فئة معلمي اليونان كانت – بصفة عامة – تنشأ غالباً من بين الأدباء وليس من بين رجال الدين كما كان يحدث في كثير من الشعوب (ومنها مصر في العصور القديمة) وعلى سبيل المثال كان معلم الموسيقى يجمع بين العزف على الآلة الموسيقية وبين إنشاد الشعر على النغمات الموسيقية وبين تعليم ذلك .

- هناك نوع آخر من المعلمين وهم مدربوا الفنون الحربية المختلفة وهؤلاء – موظفون رسميون من قبل الدولة .

نقد التربية الأثينية من وجهة نظر سعد مرسي أحمد

مما سبق وفي ضوء دراستنا للتربية الأثينية يتضح لنا أنها كانت تهدف إلى توازن النفس البشرية في مجتمعها ساعية إلى تهيئة الحرية لها وللمناقشة الحرة دون رقابة ذات سطوة من جانب الحكومة إلى جانب أنها كانت عرضة لمؤثرات خارجية – ومن ثم أنتجت أثينا من العباقرة والفلاسفة ما أعجزت أسبرطة وأعجز العالم عن مجاراتها حينذاك .

وبالرغم من ذلك نسطتيع أن نقول أن التربية الأثينية كانت ديموقراطية وأرستقراطية في نفس الوقت فبينما هي تضم جميع أفراد المجتمع بطبقاته يعيشون معاً في دولة واحدة ، هي من ناحية أخرى تكفل الامتيازات الطبقية (لقلة من هذا المجتمع مثلاً أن التربية العقلية والجمالية لم

يكن يتمتع بها السواد الأعظم من الشعب وهم العبيد وكانت قاصرة على من يسمون بالمواطنين الأحرار فالمتعة الفنية لهؤلاء الأحرار والنبلاء والكدح من أجل الكسب المادي وضروريات الحياة للعبيد عن طريق المهن والحرف .

ثانياً : القوى الثقافية المؤثرة في المجتمع الاغريقي :

تم عرض ثلاث قوى ثقافية في المجتمع الإغريقي على سبيل المثال هي كالتالي :-

(١) القوى السياسية :

- في أسبرطة كان النظام السياسي ديكتاتورياً تتولاه أسر أرستقراطية ،وكانت سياستها تقوم على التفوق العسكري وكان مُشرعها (ليكرجس) الذي نظم القوانين الاسبرطية ، التي كانت لها القداسة والاحترام ، والتي لم يكن لأحد الجرأة أو السلطة على تغييرها ، فهي بمثابة قواعد مُلزمة للجميع ، خطوط حمراء لا يجب تجاوزها بمعنى آخر غير مرنة ويجب الالتزام بها وتطبيقها .
- أما أثينا فقد حكمها (ملك) وإن كان المنصب قد ظل وراثياً في أسرة معينة ، ولكن سلطته الفعلية خرجت من يديه لتكون وديعة في (جمعية عامة) يهيمن عليها النبلاء ، وكان الحاكم ينتخب لمدة عشر سنوات نقصت بعد ذلك ، وقد أعطى المشرع "سولون" الحقوق للأفراد كل حسب مركزه في الطبقة الاجتماعية ، ثم استبدلت قوانين سولون بدستور ديمقراطي ، ومنح كل سكان أثينا الأحرار لقب مواطن ، كما أن أثينا لجأت إلى أساليب الإقناع أكثر من التجائها للقوة للاحتفاظ بسيادتها ، وقد أثر هذا في تكوين المواطن القادر على الإقناع ، وهذا هو أفضل أنواع السلطات (السلطة الإيجابية) التي انتهجتها الجمعية العامة ، إضافة إلى أن الجمعية العامة قادت أثينا إلى التقدم والازدهار، وعلى الرغم من ديمقراطية أثينا وتقدمها ، واسبرطة بدكتاتوريتها واستبدادها ، إلا أنه لم تحدث وحدة داخلية بينهما لقد كان الصراع الدامي السمعة الغالية وقتذاك ، لقد حاولت أثينا توحيد كل بلاد اليونان تحت زعامتها ، إلا أن اسبرطة رفضت ، وكانت الحرب بينهما وأرغمت اسبرطة أثينا على قبول شروطها بعد سلسلة من الهزائم ، وظلت فكرة توحيد بلاد الإغريق لم تظهر على السطح مرة أخرى .

(٢) القوى الدينية :

تمثلت التربية الخلقية في اسبرطة في تقديس وطاعة الرؤساء – التواضع – تحمل المشاق – التقشف – الابتعاد عن الخمر – العقوبة – القليل من الأموال ...... إلى ما شابه ذلك، أما الأمانة والصدق كقيم خلقية فلهما معايير لا ترتضيها اليوم ، فعلى الاسبرطي أن يسرق ويكذب على غير الاسبرطي وإذا ضبط وهو يسرق – على سبيل المثال – إصابة الجلد والامتهان – عشرات من الآلهة للبر والبحر وللحرب والسلم والجمال ، وإذا كان "فرعون مصر" إلهاً يموت فآلهة الإغريق خالدة لا تموت ، كل هذا تجمعهم الأساطير والكل سعيد بها ، أما قيم أثينا الأخلاقية فتمثلت في الاعتزاز بالنفس – الحكمة – العقوبة الملازمة للعطف والحب – الترفيه عن النفس – التفكير السليم .

وعلى سبيل المثال فقد اعتز الآثينيون بأنفسهم اعتزازاً كبيراً قائلين : أنهم كانوا خير من وجد في شبه الجزيرة اليونانية وأرقاهم وأعلاهم حكمة ، لم تؤثر القوى الدينية في المجتمع اليوناني ، ولم يكن الدين أساساً لتقدم هذا المجتمع ، لكنه أمد الحكومات ببعض المساعدة وزاد من قدسية الأسرة وخط للناس طريقاً للحياة أساسه العمل للصالح العام ، واعتقد الإغريقي أن مستقبله لم يعد مسيراً بإرادة الآلهة ، وزال الاعتقاد في تدخل الآلهة في حياة البشر .

(٣) القوى الاجتماعية :

تشابه كل من المجتمع الأثيني والمجتمع الأسبرطي في تكوين طبقات المجتمع ، التي تمثلت في :

أ- طبقة الأحرار وهم المواطنون الأحرار أصحاب الحقوق السياسية والمدنية وهم الذين يكونون الجيش ، ويمثلون الصفوة والرأسي المدبر للدولة .

ب- طبقة الأجانب (من غير أفراد المجتمع الإغريقي) أي طبقة الصناع والتجار ، ولم تكن لهم حقوق سياسية .

ج- طبقة الأقنان ، هم مثل العبيد ، يعملون في الأرض والأعمال اليدوية والمهنية .

وعلى الرغم من تشابه الأنظمة الاجتماعية – من حيث تقسيم المجتمع إلى طبقات في كل من :

(مصر الفرعونية القديمة وبلاد الإغريق إلا أن مصر تفوقت على بلاد الإغريق بأنها لم تعرف نظام الرق أو العبيد) .

ثالثاً : أفلاطون(٢٦) :-

(١) كان "أفلاطون" من أسرة شريفة النسب في أثينا ، فهو من جهة والده ينحدر من صلب "كوردوس" ، آخر ملوك أثينا ، أما نسبه من جهة أمه فيتصل بالحكيم "صولون" رجل ألدوله الكبير ومشرع أثينا ، وكان أحد عمومه ، عضو في مجلس الثلاثين الإغريقي ، كان "أفلاطون" إذن مهيأ سلفاً للعب دور فاعل في سياسة أثينا .

(٢) كان "أفلاطون" شاهداً على انحطاط أثينا التي كانت عزيزة على قلبه ، ففي شبابه ، عاش – ربما كجندي – هزيمة مدينته في حرب "بيلوبونيز" وما تبعها من انحلال ديمقراطية أثينا ، وكان ذلك نذيراً "بأفول" نجم اليونان الكلاسيكية وبزوال المدن اليونانية المستقلة التي خلت مكانها لامبراطورية الاسكندر .

(٣) لا شك أن "أفلاطون" الفتى تلقى التعليم العادي الذي كان يُعطي لمن هم في سنه ، فقد ألتحق ، برفقة عبد (عين كـ "مرب") ، بإحدى مدارس أثينا الخاصة ، حيث تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب ، كما حفظ فيما بعد قسماً كبيراً من الشعر اليوناني عن ظهر القلب ، ولا سيما أعمال "هوميروس" ، الذي كان يعتبره اليونانيون مثال المربي ، كذلك تعلم الغناء والعزف على القيثارة ، إذ بتلك الطريقة – كما يقول في كتاب "بروتاغوراس" – تتآلف نفس الأطفال مع الإيقاع والهارموني ، فيصبحون أكثر تمدناً ، وأشد اتساقاً في حركاتهم ، وأكثر توازناً ، وكان "أفلاطون" يمارس أيضاً الألعاب الرياضية ، داعياً إلى إرسال الولد إلى معلم الرياضة البدنية ... كي يكون له جسم سليم يضعه في خدمة مقاصد عقله النبيلة ، ولنضف أن أخت "أفلاطون" لم تلتحق بأي مدرسة ، بل تلقت تربيتها في المنزل بحسب عادات زمانها .

(٤) كان الحدث الحاسم في حياة "أفلاطون" الفتى التقاءه بسقراط ، ففي سن العشرين ، أصبح الأرستقراطي الشاب ، والثري أخلص تلميذ "لسقراط" ، وبقي معه إلى أن حُكم على "سقراط" بالموت ونفذ الحكم فيه على يد الديمقراطية الأثينية ، وقد ترك ذلك في نفسه جرحاً لم يندمل أبداً وقوى في نفسه المواقف النقدية ضد الديمقراطية ، وإن الصفحات التي خصصها لـ "الدفاع عن سقراط" وللحظات الأخيرة من حياته هي من روائع النصوص المؤثرة في الأدب العالمي .

(٥) ما إن مات "سقراط" حتى راح "أفلاطون" يضرب في الآفاق من أثينا إلى ميجارا ، ثم إلى مصر وإلى قورينا ، على ساحل ليبيا الحالية ، كما ذهب إلى اليونان الكبرى ، في جنوب إيطاليا ، حيث اجتمع بزعماء الفيثاغوريين ، ومن هناك ، ذهب إلى "بلاط

ديونيسوس الأول" ، طاغية سيراقوزا ، في صقلية ، الذي كان يحب أن يُحاط بشخصيات شهيرة كي يرفع من مكانته وحظوته ، وقد عرض له "أفلاطون" آراءه حول الملوك الذين ينبغي أن يكونوا فلاسفة وأن يذروا حياتهم ، لا للمصالح والسلطة الشخصية ، بل لأسمى القيم الأخلاقية ، وبعد اثنتي عشرة سنة من الأسفار ، عاد "أفلاطون" إلى أثينا حيث أسس الأكاديمية .

(٦) وصلت إلينا إعمال "أفلاطون" كاملة ، وهي تتألف من ثماني وعشرين محاورة فضلاً عن ثلاث عشرة محاورة يشك الباحثون في نسبتها إليه ، ، وتغطي محاورات "أفلاطون" تشكيلة واسعة من المواضيع : (الواجب ، الشجاعة ، الفضيلة ، العدالة ، الحب ، الجمال ، العلم ، الحكمة ، الملكية ، التشريع ... ألخ) ، وإنه لمن العسير جداً أن نرسم خطاً فاصلاً بين آراء "سقراط" وآراء "أفلاطون" ، وقد انصرف الفلاسفة إلى ذلك فرتبوا محاورات "أفلاطون" في عدة تصنيفات ، من المحاورات الأشد التصاقاً "بسقراط" ، إلى المحاورات الأفلاطونية الخالصة التي تبتعد صراحة عن فكر سقراط التاريخي .

(٧) "أفلاطون" مفكر جدي عميق ، وكاتب أخلاقي ، يدين أكثر الملذات براءة حتى القهقهة ، وهو ينعم ، إلى ذلك ، بمواهب أدبية خارقة ، يرسم شخصياته بخطوط رشيقة ، شأنه شأن كبار الرسامين الصينيين ، فيخلق في بضع عبارات جواً مفعماً بالحياة والواقعية ، وغالباً ما يمارس التهكم بحذاقة لا تجاري ، ولكننا نجد أيضاً في محاوراته مقاطع طويلة من الجدلية الشاقة ، المتشددة ، المملة أحياناً .

(٨) النموذج المثالي للمربي الأفلاطوني هو نقيض السوفسطائي ، وعديدة هي المقاطع في أعمال "أفلاطون التي ينتقد فيه "سقراط" السوفسطائيين أو يتجادل معهم ، إنه ، بحسب صيغة "كارل جاسبرس" ، كفاح الفلسفة ضد اللافلسفة ، وكان السوفسطائيون ، في عصر "أفلاطون" معلمين متنقلين في التعليم العالي ، كانوا يستأجرون قاعات ويعطون فيها دروساً لقاء أجر(مرتفع في الغالب) لأبناء الأشراف الذين ينهون ، في سن السادسة عشرة ، دروسهم الأولية في المدارس الخاصة ، وأغلب الظن أن "أفلاطون" نفسه قد تابع دروس سوفسطائيين شهيرين ، من مثل "غورجياس" أو "بروتاغوراس" ، وكان السوفسطائيون يتناولون شتى المواضيع ، غير أنهم اشتهروا على الأخص بتعليم البلاغة وفق الكلام والإقناع وفن تحريك الجماهير ، إن فن الخطابة ، يقول "غورجياس"، في المحاورة التي تحمل اسمه : (هي القدرة على الإقناع ، إقناع القضاة في المحكمة إقناع أعضاء الجمعية ،أو الإقناع في أي اجتماع آخر ً. وبذلك فإنه يعمق

الهوة التي تفصل بين الفلسفة الحق واللافلسفة أو السفسطة ، وإليكم الـصورة ، غيـر المتسامحة ، التي يعطيها عن السوفسطائي : (أنه قناص مأجور للشباب الثري ، متاجر بالمعارف ذات الصلة بالنفس ، رياضي مصارع بالكلام ، مجادل ، يوهمُ الناشئة أنه ، شخصياً أعرف الناس في جميع الأمور ، إنه مشغوذ ، مقلد احتفظ لنفسه بالشق الكلامي من الخداعية) .

(٩) معلم نقل معارفه إلى تلميذ يُطلب منه استيعابها ، اعتمد علي التربية السقراطية كتربية فاعلة ، إنها تربية الحوار يتعاون فيها المعلم والتلميذ بحثاً عن المعرفـة ، فالطرفـان منصرفان كلاهما إلى البحث عن المعرفة عبر مجموعة من الأسئلة والأجوبة إن تربية الحوار هذه تميز أعمال "أفلاطون" برمتها ، فالقارئ معني بالجدال الـدائر ، كمراقـب فاعل ، "فأفلاطون" يصل بالقارئ ، بصبر وأناة ، وعبر نقد تهكمـي ، إلـى التامـل والاستقلالية .

(١٠) عندما أسس "أفلاطون" الأكاديمية ، كان قد ناهز الأربعين من عمـره ، وقـد أقـام مؤسسته في ملك محاط بحديقة ، وكثيراً ما تُعتبر الأكاديمية أول جامعة في التاريخ ، لأنها كانت أقرب إلى الـ (Universities) منها إلى الجامعة الحديثة، لقد كانت مركز أبحـاث ودراسات ، ولا شك أن الجماعات الفيثاغورية التي خالطها "أفلاطون" في اليونان الكبـرى هي التي أوحت له بإنشاء الأكاديمية ، وكان الأساتذة والتلاميذ يعيشون داخلها في جو مـن الألفة في جو مليئ بالحوار ، والمناقشات المكملة للمحاضرات والعروض الإلقائية .

رأس "أفلاطون" الأكاديمية حتى آخر حياته ، مما يعني أنه ظل على امتداد أربعين سنة القيم على هذا المركز الفكري لليونان القديمة والمعلم الرئيسي فيه ، وبعد وفـاة "أفلاطـون" ، استمرت الأكاديمية .

وعملاً بتقليد قديم ، نُقشت فوق مدخل الأكاديمية عبارة تقول إن معرفة علـم الهندسـة شرط للدخول إليها ، والحال أن "أفلاطون" شغف حقاً بالرياضيات خلال لقاءاته بالفيثـاغوريين ولا سيما "بأرشيتاس التارنتي" الذي كان رياضياً بارعاً ، وكان "أفلاطون" هـو ذاتـه رياضـياً ممتازاً ، دعا اختصاصيين آخرين في هذا العلم للتدريس في الأكاديمية .

وكانت العلوم السياسية ، وهي الموضوع المركزي للأكاديمية ، تُدرس وتُعلم بطريقـة منهجية ، وكانت الأكاديمية تمتلك مجموعة واسعة من نصوص دساتير عدد من الـدول ، وقـد خرجت سياسيين ورجال دولة ، فضلاً عن اختصاصيين في القانون الدسـتوري ، وإن قائمـة

طلاب الأكاديمية الذين استدعوا كمستشارين سياسيين أو كقانونيين في دول يونانية ، طويلة جداً وهي تشهد على مدى إشعاع هذه المؤسسة .

وكان حلم "أفلاطون" أن يخرج من أكاديميته هؤلاء (الملوك – الفلاسفة) الذين أسهب في الكلام عليهم في مؤلفي الجمهورية والسياسية اللذين يشكلان ، مع النواميس ، حصاد الدراسات والأبحاث التي أفردتها الأكاديمية للعلوم السياسية .

وكانت الفلسفة هي التي تتوج بالطبع دراسات الأكاديمية ، وكان تأسيسها فاتحة عهد جديد في فكر "أفلاطون" ، انفصل فيه عن منهج "سقراط" الفلسفي ، وكانت المذاهب الفيثاغورية قد أصبحت مصدر إلهام له تضاهي في أهميتها مثال معلمه القديم الذي بقي يجله ويحترمه .

(١١) السياسة التربوية بحسب "أفلاطون" مبسوطة في أضخم مؤلفين كتبهما : الجمهورية والنواميس ، في الجمهورية ، يتصور "أفلاطون" مدينة نموذجية تجسد العدالة ، إنه نوع من اليوطوبيا (ولكن المثال الأعلى ، بنظر "أفلاطون" ، أزلي ثابت لا يتغير ، بينما محسوسات العالم تتغير باستمرار) ، إن جمهورية "أفلاطون" ، بحسب "روسو" (... هي أجمل مبحث في التربية كتبه إنسان على الإطلاق) ، وفي "النواميس" يصوغ "أفلاطون" مشروع تشريع مفصل من أجل مدينة ينبغي إنشاؤها ، ومع أن مواضيع هاتين المحاورتين تكاد تكون متشابهة ، إلا أن الاختلافات بينهما كبيرة جداً ، على أن هذه الفوارق تعني القضايا التربوية ، ففي (الجمهورية) شكل "أفلاطون" النظرية الخالصة للمدينة الفاضلة ، بينما ركز "النواميس" على التطبيق العملي على فرضية وجود حالة محسوسة .

سكان الجمهورية مقسمون طبقات ثلاث : طبقة العبيد الذين يخضعون لأحكام خاصة ، وطبقة الصناع والتجار (وهم طبيعياً أجانب من دون حقوق مواطنيه) وأخيراً طبقة "الحراس" المسئولين عن أمن المدينة وإدارتها ، وهذه الطبقة الأخيرة تتفرع إلى فئتين : الحراس "المساعدون" والحراس "المثاليون" أو الحكام ، علماً بأن أعضاء الفئة الأولى يكونون من الشباب عادةويتولون مسئولية الأمن الداخلي والخارجي (ومنهم الشرطة والجيش) ، بينما يتصف أعضاء الفئة الثانية بالحكمة فيسهرون على سير المدينة وتناغمها ، وعلى رأس المدينة نجد "الملك الفيلسوف" (الذي يشكل "أرشيتاس التارنتي" مثالاً عنه) ، وهي فكرة استُعيدت في كتاب السياسة، ولكنها اهملت في "النواميس" .

المجتمع الفاضل بنظر "أفلاطون" هو مجتمع ثابت مستقر ساكن ، لأن كل تغيير ، في المدينة الفاضلة ، لا يتولد عنه إلا الشر والانحطاط ، وهكذا تبقى في مأمن من كل ما يولد الاضطرابات والتقلبات ، والحراس ملزمون بالانصراف كلياً لخدمة الدولة ، ولا يحق لهم

بثروات مادية ، ولا بأسباب لهو ولو بسيطة ، ولا بمطامح خاصة ، فكل ما لهم مُشاع : المسكن والمأكل والنساء والأولاد .

(١٢) ومن مهام التربية في المدينة الأفلاطونية ضمان استمرار الوضع القائم ، فكل تجديد يُنبذ منها ، وعلىالتربية أن تكون الضمانة ضد كل تغيير وكل شكل من أشكال الإفساد ، على خلاف معظم النظريات التربوية الحديثة .

ولكن ، رغم نزعته المحافظة المتشددة ، كان "لأفلاطون" أفكار تجديدية ، إنه يعلن مثلاً المساواة بينما الجنسين في عصر كانت فيه النساء – باستثناء الخليلات – محصورات في المنزل ، وفي مدينة "أفلاطون" ، تمارس الفتيات التمارين الرياضية ، عاريات كالصبيان ، ويُدعين إلى خوض الحرب ويحملن الدروع كالرجال ، ويتعلمن مع الصبيان دونما تمييز ، كما دعا "أفلاطون" إلى التعليم الإلزامي للجميع ، أي لجميع أفراد طبقة الحراس ، وهذا ما لم يتحقق ، في الواقع ، إلا بعد حقبة طويلة على يد الثورة الفرنسية ، وهذه التربية تذهب إلى أبعد من التعليم الأولي ، وبالمقابل ، لا يتطرق "أفلاطون" إلا نادراً لتنشئة الصناع والتجار ، التي تقتصر على مجرد تعلم بسيط ، أما العبيد ، فلا يأتي على ذكرهم قط .

وخلاصة القول إن "أفلاطون" قد صاغ نظاماً تربوياً ، وفي "النواميس" اوضح "أفلاطون" كيف ينبغي تنظيم التعليم وإدارته ، فالنظام التربوي برمته يديره "وزير للتربية" ، وهذا المنصب هو من أعلى مناصب الدولة ، ويتولى هذا الوزيرالإشراف على التربية برمتها ، ويكون بإمرته موظفون مسئولون عن حسن تنظيم قاعات الرياضة البدنية والمدارس ، وعن التعليم الذي يُعطي فيها ... يشرفون على كل ما له علاقة بالالتحاق المدرسي وبالأماكن المعدة للذكور والإناث ... الي ما شابه ذلك

(من ناحية أخرى) يتولى قضاة الإشراف على المباريات الموسيقية ... والمباريات الرياضية ...

(١٣) وبما أن جمال وصحة الجسد والنفس هما من أهداف تربية "أفلاطون" الجوهرية ، فإن تلك التربية منظمة ، وفق العرف اليوناني ، تبعاً لفرعين إثنين : التربية البدنية والثقافة .

تبدأ التربية البدنية قبل الولادة ، وتوصي النساء الحاملات بالتنزه وبالإكثار من الحركة، لأن كل هزة أو حركة ... (تمنح) صحة جيدة وجمالاً ونشاطاً ، للطفل الذي سيولد .

قبل المدرسة ، تقع تربية الأولاد على عاتق الأهل الذين يتعين عليهم معاملتهم بقسوة معتدلة ، لأن الرخاوة تجعل طبع الولد صعباً سريع الانفعال ، وعرضة لبوادر غضب عنيفة لأسباب تافهة ، كما أن فرض قيود قاسية ومتشددة تجعل منهم أشخاصاً خنوعين ، أذلاء ، مبغضين للبشر ، وغير مهيأين للحياة الاجتماعية .

ويبدأ تدريس الثقافة في وقت مبكر عبر القصص التي يرويها الأهل لأولادهم ، ويعلق "أفلاطون" أكبر الأهمية على محتوى تلك القصص ، لأن تلك الانطباعات الأولى تشكل نفس الولد اللينة وتحدد طبعه ، ولذا تُخضع تلك القصص للرقابة ، ويشدد "أفلاطون" كثيراً ، ومرات عديدة ، على الرقابة .

بعد القصص ، تأتي الألعاب التي ينبغي أن تسهم في تنشئة الأطفال ، ولكي يصبح المرء في أي مجال رجلاً ذا جدارة ينبغي له ... أن يتمرن منذ الطفولة ، سواء باللهو أو بطريقة جدية ... فلكي يصبح مثلاً بناءً جيداً للبيوت ، عليه ... أن يلعب في تشييد أبنية طفولية.

(١٤) أما عن النظام التعليمي عند "أفلاطون" : في سن السادسة ، يدخل الأولاد إلى المدرسة ، حيث يبدأون أولاً بتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب ، في سن العاشرة ، يخصص الولد ثلاث سنوات للدروس الأدبية ، وحين يبلغ الثالثة عشرة من عمره ، يكون الوقت قد حان للشروع في دراسة القيثارة ، وهي دراسة تُفرد لها ثلاث سنوات ، ويمنع الأب ، كما يمنع الإبن ، سواء أكان يحب هذه الدروس أو يبغضها ، من إطالة أو تقصير هذه المدة .

إلى جانب تلك التربية الأدبية والموسيقية ، يمارس تلاميذ المدينة الأفلاطونية كل ضروب الرياضة ، بما فيها الفروسية والتدرب على الأسلحة ، ومن الأهمية بمكان أن يقوم توازن تام ما أمكن بين الثقافة والتربية البدنية .

في سن الثامنة عشرة ، وفي نهاية تلك التربية الأساسية التي يجتازون خلالها عدة ضروب من المباريات والامتحانات ، تُدعى الناشئة – ذكوراً وإناثاً – للانصراف كلياً ، خلال سنتين أو ثلاث ، للتمارين الرياضية أو العسكرية ، وهذا ما يقابل سن البلوغ التقليدية .

في سن العشرين ، تبدأ الدراسات العليا للذين تم اصطفاؤهم لمتابعتها ، استناداً إلى نتائجهم السابقة ، وهنا يختلف منهاج "أفلاطون" الدراسي اختلافاً أساسياً عن التقليد الذي كان يوكل أمر هذا التعليم للسوفسطائيين ، فإن ما يهم "أفلاطون" قبل أن شيء آخر هو تلك الدراسات العليا ، التي تفضي إلى الفلسفة ، وفي الوقت نفسه ، إلى أعلى مسئوليات المدينة، وهي موضوع تدريس في أكاديميته ، فحتى سن العشرين ، كان التعليم إذن إلزامياً ، ولكن "أفلاطون" يوصي باجتناب أن يتسم التعليم بطابع الإكراه ... إذ ... ما من موضوع ، عند رجل حر ، ينبغي أن يرافق دراسته سلوك خنوع ... وما من دراسة قسرية تدوم طويلاً .

وخلال عشر سنوات ، تخصص تلك الدراسات العليا لمراجعة توليفية منهجية للمواد التي تمت دراستها سابقاً : فالدروس التي أجريت مُجزأة في تربية الأطفال ، لابد من تجميعها ، من أجل تكوين رؤية شاملة للروابط التي تجمع تلك الدراسات في ما بينها ومع طبيعة الواقع

المحسوس ، وهذا أمر ضروري للارتقاء إلى الجدلية ، لأن الجدلي هو الذي ينعم برؤية كليــة شاملة ، وعند هذه المرحلة تُدرس على الأرجح "النــواميس" كمبحــث فــي العلــوم الــسياسية والاجتماعية وفي القانون المقارن .

(١٥) أعطى "أفلاطون" بعد ذلك تولى أهمية خاصة لدراسة العلوم الأربعة التي تشكل مدخلاً إلى الفلسفة : علم الحساب وعلم الهندسة وعلم الفلك وعلم الانسجام ، فتلك العلوم هي التي ترتقــي بالنفس إلى ما هو ثابت لا يتغير ، فالرياضيات – والهندسة – تحرر الفكر من المحــسوسات ، وتكيفه مع عالم التصورات الخالصة وترفع نفسه إلى قمم الفكر ، علم الهندسة هو معرفة ما هو موجود أبداً ، فمن خلاله نتعلم التعامل مع التصورات الفكرية ، أما علم الفلك فيعود النفس على النظام وعلى انسجام واتساق الكون الثابت ، وأما دراسة علم الانسجام ، فهو أخ لعلم الفلك .

ولا يقبل طلاب "أفلاطون" أخيراً على دراسة الفلسفة أو الجدلية إلا في سن الثلاثــين ، ويتابعون هذه الدراسة خلال خمس سنوات ، بعد ذلك ، ينبغي لهم النزول مجدداً إلى الكهــف ، والخدمة في الجيش أو في الإدارة لمدة خمس عشرة سنة ، حيث يخــضعون دومــاً للاختبــار والتجريب ، ومن بين هؤلاء الرجال الذين يبلغون سن الخمسين ... من ينــال مــنهم المرتبــة الأولى في كل شيء ... سواء في النشاط العملي أو في العلوم يتوصلون إلــى رؤيــة الخيــر الأسمى ، وحين يرون الخير بذاته ، (يتعين عليهم) تسخير هذا النموذج الأعلى لخدمة الدولــة ، بعد ذلك ، وطوال حياتهم الباقية ، ينصرفون بالتناوب إلى الفلسفة وإلى الشئون العامة .

وبعد بلوغهم سن التقاعد يستطيع حكام الدولة التفرغ كلياً لمتعة الفلسفة ، ويكون ذلــك مكافأتهم الوحيدة .

إن مدينة "أفلاطون" إنما هي مدينة تربوية في جوهرها ، مدينة من صنع التربيــة ، لا يسعها أن تدوم إلا شريطة أن يحظى جميع المواطنين بتربية تجعلهم قادرين على اتخاذ قرارات سياسية رشيدة ، فعلى التربية أن تحافظ على سلامة المدينة وأن تحميها من كل تجديد ضــار ، إنها تربية لا تهدف إلى تفتح الفرد ونموه ، بل تربية مسخرة كلياً لخدمــة المدينــة ، وضــامنة لسعادة مواطنيها طالما سمح لها هؤلاء بتجسيد العدالة .

تعقيب :

<u>يلاحظ على اتجاهات التربية في المجتمع الإغريقي ما يلي :</u>

(١) نعتقد كما أعتقد كثير من المفكرين الغربيين وعلماء تاريخ التربية أن الثقافة الإغريقية تعتبر أساساً للثقافات التي ظهرت بعد ذلك في أوربا ، وغيرها من البلـدان المتقدمـة والنامية .

(٢) أثرت القوى الثقافية : السياسية والاجتماعية في بلاد الإغريق ، وتفوقـت أثينـا بكـل المعايير على اسبرطة حيث قادت هذه المعايير أثينا إلى التقـدم والازدهـار وظهـر الفلاسفة أمثال "أفلاطون" ، و "أرسطو" ، و "سقراط" .. وغيرهم .

(٣) **هدف النظام التعليمي :** في اسبرطة إلى إخضاع الفرد لنفوذ الدولة ، وإلى إعداد أفراد أقوياء أشداء من خلال التدريبات العسكرية والرياضية وكل ما يساعد على بناء الأجساد القوية .

أما التربية الأثينية فقد هدفت إلى تكوين الفرد الكامل جسماً وعقلاً وخلقاً المرهف الحس المُقدر للجمال .

كان التعليم مقصور على الأحرار فقط في كل من أثينا واسبرطة ، وأهتم الإغريق بتعليم القلة ، لأن طبقة العبيد في كل من أثينيا واسبرطة كانت تمثل عدداً كبيراً من السكان .

(٤) **جاء السفسطائيين وهم أجانب استوطنوا في أثينا :** واحتلوا مراكز أدبيـة كمـدربين ومعلمين ، ووجدوا في أثينا بيئة صالحة لأفكارهم ، فقد كانت المواطنة في أثينا تهتم ببعض المهارات مثل القدرة على الكلام والمهارة في المناقشة ... الـخ ، وكـان السوفـسطائيون يهتمون بهذه النواحي ، وكان المحور الرئيسي لفلسفة هؤلاء السوفـسطائيين اعتبـارهم أن الإنسان هو معيار كل شيء وبالتالي فإن جميع المسائل قابلة للمناقشة وخاضـعة لأحكـام الإنسان ، ويجب ألا يتقيد الإنسان بقوانين جامدة تقليدية تحد من حرية المناقشة وحرية النقد ،ومن ثم كان هؤلاء السوفسطائيون مثار ذعر وقلق للمحافظين في أثينا .

وكان معلموا التربية البدنية والعسكرية من موظفي الدولة ، أما بقية مسئوليات التربيـة فكانت تلقي على كاهل الذكور الكبار في المجتمع لما لهـم مـن خبـرة ودرايـة بالثقافـة الإغريقية.

(٥) **كان التعليم للذكور فقط في أثينا** : وإن كانت أسبرطة قد أتاحت فرصاً أوسع لتعليم البنت ، إلا أن حق المواطنة كان قاصراً على الذكور فقط .

(٦) **العلاقة بالمجتمع المحلي** : كان لأثينا علاقات متنوعة مع جيرانها نظراً لموقعها الجغرافي ، أما اسبرطة فكانت علاقاتها محدودة نظراً لأنها تقع في منطقة سهلية تحيط بها جبال تفصلها عن بقية أجزاء بلاد اليونان اللهم إلا ممرات ضيقة في بعض الجبال .

(٧)**كان التمويل التعليمي** : في المجتمع الإغريقي يأتي مما يدفعه التلاميذ إضافة إلى ما تقوم به الدولة ، وكان المعلم يأخذ أجره عيناً لا مالاً في آخر يوم من الشهر ، معنى ذلك أن أوجه الإنفاق المالي كانت توجه لأمور أخرى غير راتب المعلم .

(٨)**المبنى المدرسي** : قد استطاع المعلم أن يجمع التلاميذ في فصل دراسي ، أما غيره فقد عقد حصصه في الهواء الطلق ، في ظل معبد أو أحضان تعريشه أو مكان هادئ على قارعة الطريق وذلك حتى ظهور المدارس والأكاديميات .

وعلى الرغم من ذلك يؤخذ على الحضارة اليونانية القديمة بعض الأمور منها على الأخص في أسبرطة :

- إهمال التربية العقلية والجمالية والوجدانية في اسبرطة .
- القسوة والخشونة وتقديم الدولة عن الفرد في اسبرطة .
- زيادة القاعدة العريضة الاجتماعية من العبيد .
- الصراع والنزاع وعدم الاستقرار وغياب الوحدة بين أثينا واسبرطة .
- التسلط والديكتاتورية السياسية والتحكم في حياة الاسبرطي منذ سن السابعة وحتى الستين عام .
- المعايير الأخلاقية في اسبرطة وقتذاك لا يقبلها العقل في العصر الحديث .

وعلى الرغم من تلك الأمور السابقة ، إلا أن الحضارة اليونانية قدمت للبشرية الكثير والكثير ، ومعظم الحضارات الأخرى مدينة لبلاد الإغريق بالفضل .

أسئلة على الفصل الخامس

السؤال الأول : اكتب مذكرات مختصرة فيما يلي :

أ- القوى الثقافية المؤثرة في اسبرطة ؟

ب- الأوضاع الثقافية المؤثرة في أثينا ؟

ج- العملية التعليمية في المجتمع الإغريقي ؟

السؤال الثاني :

"يعتبر أفلاطون أهم فلاسفة اليونان" وضح أهم ما قدمه للتربية والتعليم فـــي العـــصور القديمة ؟

السؤال الثالث :

"أثرت القوى الثقافية : السياسية – الدينية – الاجتماعية في الحياة التعليمية في المجتمع الإغريقي" ناقش ذلك مع توضيح رأيك بموضوعية ؟

الفصل السادس
التربية في المجتمع الروماني

- تقديم .
- أولاً : أوضاع المجتمع الروماني .
- ثانياً : الحياة التعليمية في المجتمع الروماني .
- ثالثاً : أعلام الفكر الروماني .
- تعقيب .
- أسئلة على الفصل .



تقديـــــم :

تروي لنا كتب التاريخ القديم أن روما بعد أن تأسست ، قد تعرضت – على مر العصور – لكثير من الاضطرابات الداخلية كالصراع بين الأشراف والنبلاء ضـد العامـة ، وانقـسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية ، ثم تم تفكيك الإمبراطوريـة الغربيـة ، وظهـر الأمراء والحكام والملوك فيما بعد، مما كان بداية لتكوين الدول الحديثة فـي أوربـا الغربيـة ، ويمكن توضيح التطور السياسي عند الرومان على النحو التالي :

أولاً : المراحل المبكرة .

ثانياً : فترة الحكم الجمهوري .

ثالثاً : فترة الحكم الإمبراطوري .

هذا الوضع السياسي وغيره من الأوضاع الأخرى مثل : (الوضع الـديني – الوضـع الاقتصادي – الوضع الاجتماعي – الغارات الجرمانية ...) إلى ما شابه ذلك أثر على التربيـة وأدى في النهاية إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية .

أولاً : أوضاع المجتمع الروماني :

علمنا جميعاً أنه توجد قوى ثقافية أو عوامل ثقافية ، يطلق عليها بعض علماء التربيـة متغيرات أو موجهات تؤثر في التربية ، وتصبغها بشكل معين ، وهذه القوى تتكامل فيما بينها ، وأن الفصل بينها هو لمجرد التفسير .

ولمزيد من التوضيح يلاحظ ما يلي :

(١) القوى الدينية :

فقد اعتنق الرومان وبخاصة في العصور الأولى ديانات شبيهة بديانات الإغريق ، حيث يتخذون كثيراً من الآلهة في شئون حياتهم ، ثم انتقلت إلى عبادة وتأليه الإمبراطور نفسه كما في عهد اكتافيون ثم انتشرت المسيحية بعد ذلك .

أما في القرن الرابع الميلادي فقد تغير اتجاه الأباطرة نحو المسيحية ، وفي عهد قسطنطين ، اعتبرت المسيحية الدين الرسمي للدولة الرومانية .

(٢) القوى السياسية :

يرى سيد إبراهيم الجيار(٢٧) :- إن الحياة البدائية في المجتمع الروماني قد بدأت تتلاشى تاركة لمكانها مؤسسات ونظم أخرى ، وكان المجلس الأعلى في روما بمثابة المجلس الاستشاري للملوك ، الذي كان يتكون من طبقة النبلاء الذين تملكوا الأرض وكونوا الفرسان في الجيش بأسلحتهم وخيولهم وعاشوا حياة متميزة يغلب عليها الطابع الأرستقراطي .

أما في فترة الحكم الجمهوري فكان للسياسة لوناً آخر أهمها : إن العبيد حرموا من حقوقهم السياسية – زادت الحروب الأهلية والاضطرابات – عانى الأفراد كثيراً من تلك الأوضاع .

وفي فترة الحكم الإمبراطوري لم يتمتع الرجل العادي بكثير من الحقوق السياسية ، وكان البديل لذلك هو تعويضه بوسائل الراحة والترفيه ، لقد أصبح كذلك الأباطرة طغاة جبابرة ، وانتفت أيضاً كل الحريات المدنية ، واختفى الحكم المحلي تماماً ، ولم يعد هناك مجال يحقق فيه الأفراد ذاتهم ، وأصبح الجميع عبيداً للإمبراطور ، كما ساد الفساد ، وفقد الشعب روحه المعنوية ، لذلك كان الجو الفكري وقتذاك مهيأ للتمسك بأهداب الدين والإيمان بالحياة السعيدة في الآخرة .

(٣) القوى الاقتصادية :

يرى سعد مرسي أحمد (٢٨):- أن الثقافة السائدة في المراحل المبكرة كانت تشبه إلى حد ما ثقافة المجتمعات البدائية ، عناصرها بسيطة التركيب قليلة العدد ، وفي فترة الحكم الجمهوري ، كان الرأسماليون من بين أعضاء مجلس الشيوخ ، ولكن قانوناً صدر حرم عليهم الاشتغال بالأعمال أو التعاقد مع الحكومة للقيام بأداء أعمال لها ، وكانت نتيجة ذلك القانون ظهور طبقة جديدة من رجال الأعمال والتجار ، ونظراً لأن ثروتهم قد خولت لهم حق الخدمة في الجيش في فرق الفرسان ، فقد أطلق عليهم اسم الفرسان .

ولم يكن هؤلاء الفرسان يعملون فرادى فحسب ، بل إنهم كونوا شركات فيما بينهم ، واستغلوا فيها كل مصادر ثرواتهم حتى يمكنهم توفير المال للمشروعات الكبرى ، والتي كانت الغزوات الرومانية تساعد على توافرها ، وهكذا أخذ الفرسان مع أعضاء مجلس الشيوخ يكونون طبقة قوية تتحكم في مسار الدولة وأحوالها ، وكان أمراً طبيعياً أن يساند الفرسان أعضاء المجلس ضد عامة الشعب وكان الوقت مناسباً أيضاً للاضطرابات والحروب الأهلية ، ورغم أن

الدولة كانت تمنح أراضي للمحاربين العائدين ، إلا أنهم كانوا لا يستطيعون زراعتهـا لفقـرهم ومن ثم اضطروا لبيعها للرأسماليين الذين زادت ضياعهم كبراً في الحجم والعدد وكونوا ثروات كثيرة ، واستأجر الرأسماليون أيضاً الأراضي العامة وزرعوها مستخدمين العبيد ، كما قـاموا بتسليف الأموال وبناء السفن وتزويد الجيش بالمعدات ، وتدفق المال لروما من كل صوب .

أما في فترة الحكم الإمبراطوري أصبحت كثير من المدن مراكز هامة للتجارة الداخلية ، كما كانت وسائل الاتصال براً وبحراً وسائل ممتازة ، إلا أن هذا التقدم والازدهار قام علـى أسـس غير مستقرة ، وهدد المجتمع الروماني بالتدهور والانحلال :

١- ففي ناحية الزراعة عادت الضياع الكبيرة إلى حالتها البدائية .

٢- تدهورت التجارة وكذلك الصناعة واستغنت الأقاليم عن بضائع روما .

٣- زادت الضرائب حتى عجزت الطبقات الغنية عن الوفاء بها .

٤- حدثت الأزمات الاقتصادية الشديدة .

٥- قل وضعف الدخل بالنسبة للطبقات الدنيا .

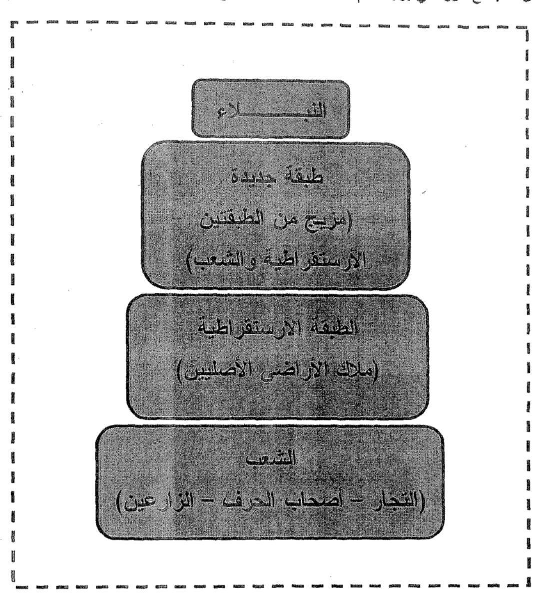
٦- تم الاعتماد على العبيد لأداء الخدمات الشخصية في منازل الأغنياء .

٧- فقد الشعب ثقته في الحياة الطيبة على أرضه .

(٤) القوى الاجتماعية :

في المراحل المبكرة أنشئت مدينة روما وأصبحت المركز الرئيسي للعناصر أو القبائـل اللاتينية التي انتشرت بعد ذلك في الجزء الأوسط من الساحل الغربي الإيطالي .

كان المجتمع الروماني بوجه عام مجتمعاً طبقياً كما يتضح من الشكل التالي :



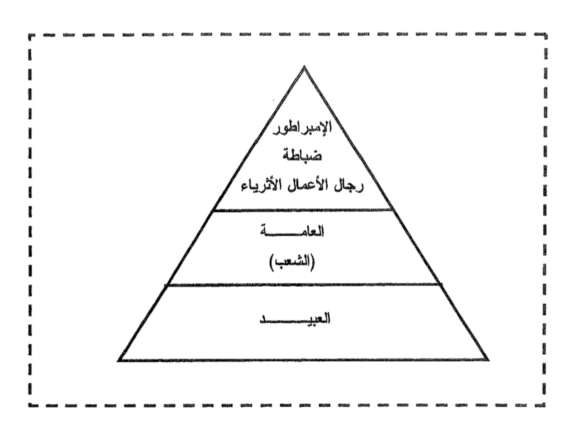
شكل رقم (٣) يوضح الناحية الاجتماعية

ويتضح من الشكل رقم (٣) السابق أن التدرج الطبقي واضح ، وعلى الرغم من هذا التدرج أمكن انتقال بعض الطبقات إلى أعلى ، وإذا ما قورن بحضارة مصر الفرعونية وحضارة بلاد الإغريق فيظهر التشابه في الناحية الاجتماعية .

أما في فترة الحكم الجمهوري فقد تأكدت الفروق الطبقية في المجتمع الروماني ولوحظ أن :

- طبقة النبلاء أو الإشراف ظلت في أعلى التدرج .
- العامة تلت طبقة الإشراف وكانت مكونة من الأتباع الذين يمتلكون قطعاً صغيرة من الأرض .
- العبيد الذين لم تكن لهم أية حقوق وهم في أسفل التدرج .

أما في فترة الحكم الإمبراطوري : فقد أتخذ المجتمع الروماني شكل هرم كبير كما يتضح من الشكل التالي :



شكل رقم (٤) يوضح الناحية الاجتماعية في العصر الإمبراطوري

ويتضح من الشكل رقم (٤) السابق ما يلي :

١- أنه تم تزاوج بين السياسة (الإمبراطور) والاقتصاد (رجال الأعمال) والأمور العسكرية (ضباط الحيش) .

٢- أن التدرج الطبقي ما زال موجوداً .

٣- أن العبيد شكلوا القاعدة العريضة للرومان .

ويضيف سيد إبراهيم الجيار(٢٩) :- أمراً آخر عن الناحية الاجتماعية ، الا وهو أن الأسرة في ذلك الوقت كانت أساس الحياة الاجتماعية ، وكان الأب هو صاحب السلطة العليا فيها ، والذي يحدد مصير الذين يعتمدون عليه من زوجة وأبناء وعبيد وأتباع ، وكان الأتباع من الأشخاص الذين يعملون لرب الأسرة في نظير حمايته لهم والصرف عليهم ، ولم يكن هؤلاء الأتباع أحراراً ، ولكن كان لهم وضع قانوني واجتماعي ، يفوق وضع العبيد الذين كانوا يعدون ملكاً لأسيادهم ، وكان على الأتباع مساعدة رب الأسرة في كل شئون حياته الخاصة والعامة ، بل كان عليهم أحياناً مده بالمال لمقابلة نفقاته غير العادية والإنابة عنهم في كل الشئون القضائية التي قد تتصل بهم .

(٥) القوى الحضارية :

يرى أ.د. عبد الغني عبود أن القوى الحضارية تتمثل في(٣٠) :-

أ- تعليم عصري منفتح على الغير .

ب- قوى بشرية مدربة وذوي قدرات عالية .

ج- مؤسسات تستوعب هذه القوى البشرية .

يمكننا القول أنه على الرغم من أن المجتمع الروماني قدم تعليماً يبدأ بالقراءة والكتابة وانتهى بالخطابة والإلمام بالثقافة العامة ، واعتمد أيضاً على الأسرة كمؤسسة تربوية أساسية ، وأقام المدارس كمؤسسات نظامية بديلة عن الأسرة وانتهى بالمدارس المسيحية ، إلا أن هذا التقدم الحضاري كان له سمات هادمة للمجتمع الروماني أهمها ما يلي :

١- أن اعتماد الأباطرة على التعليم لم يكن القاعدة المتبعة دائماً ، بل كان ذلك يتوقف على شخصية الإمبراطور ورغبته في كسب تأييد فئات معينة من المواطنين .

٢- في بعض الأحوال تم طرد جميع المعلمين الأجانب بعد أن تم منحهم حقوق المواطنة في روما .

٣- اقتصر التعليم على أبناء السادة الحكام وأبناء الطبقات الغنية بالدرجة الأولى .

٤- أمر الإمبراطور "جوستنيان" بإغلاق المدارس في أثينا ، وكان هذا بداية الانتكاسة والتدهور التعليمي وزوال الإمبراطورية الرومانية .

٥- تأرجح وضع المعلم صعوداً وهبوطاً تبعاً لنظرة الإمبراطور ، كما تعرض بعضهم للاضطهاد بسبب انتمائهم لطائفة دينية معينة .

٦- لم تكن هناك مؤهلات معينة يشترط توافرها لمن يزاول مهنة التدريس ، ولم يكن أيضاً هناك إعداد للمعلم ، وعند التعيين كان الأهم أن المعلم قد نال رضا أحد الأباطرة .

٧- كان التعليم أرستقراطياً حتى بعد أن سيطرت الكنيسة على أموره ، فقد وجهت معظم اهتمامها لإعداد القادة من رجال الدين ، ولم تبذل جهداً يذكر في تغيير الصفة الأرستقراطية للتعليم عند الرومان .

وبالإضافة لكل هذه العوامل ، كانت هناك الحروب المتواصلةضد القبائل الجرمانية ، التي أخذت تدق على حدود البلاد بكل قوة ، وتغزو كل أنحاء الإمبراطورية ، وأخذ عدد السكان يتناقصون بسرعة نتيجة لقلة عدد المواليد وكثرة عدد الوفيات ، ونتيجة للحروب والأوبئة والمجاعات .

تلك هي أوضاع المجتمع الروماني ، أو القوى الثقافية أو الموجهات التي وجهت وأثرت في التربية وأدت في النهاية إلى زوال الإمبراطورية الرومانية .

ثانياً : الحياة التعليمية في المجتمع الروماني :

أوضح سعد مرسي أحمد وآخرون(٣١) :-

(١) المناهج الدراسية :

كان التعليم في بادئ الأمر ، يعتمد على العمل أكثر من أن يكون عملية تلقين بمعنى أن المتعلمين كانوا يقومون بأعمال معينة ليعتادوا بعض العادات الحسنة المرغوبة .

وعندما وجدت المدارس الأولية ، كانت تهتم بتعليم القراءة والكتابة ، ولكنها لم توجه عنايتها لتعليم الموسيقى أو الرياضة البدنية .

أما في المدارس الثانوية فكانت المناهج تشتمل على (اللغة اليونانية – الآداب اليونانية واللاتينية – التاريخ – الأساطير – الفلسفة – النحو – الفلك – الموسيقى) .

وأما الدراسات العليا أو ما يماثل دراسات الكليات :

فكان مما يدرس بها : (الخطابة – الهندسة النظرية – الفلك – الفلسفة) .

ومناهج الدراسات العليا عرفت "بمواد التربية الحرة" بمعنى المخصصة لأبناء الأغنياء الأحرار ، وهم الذين لم يكونوا في أغلب الظن يقومون بأي عمل جسماني ، ويمكن أن يقال أنها كانت تعدهم للخطابة والبلاغة .

(٢) المعلمون :

(أ) بالنسبة للمدارس الأولية :

وكان المعلمون عادة من المواطنين الذين أسرتهم روما في الحرب فكانوا يحصلون على رواتبهم مما يدفعه التلاميذ من نقود وهدايا .

(ب) بالنسبة لما بعد المرحلة الأولية :

في عصر الجمهورية ، كان معظم المعلمين من اليونان الذين أتوا إلى روما وأصبحوا مواطنين رومانيين بعد أن منحوا حق المواطنة .

وفي عصر الإمبراطورية ، كان المعلمون يتمتعون بمركز ملحوظ من رعاية الأباطرة لهم – فكانوا يوجهون معظم اهتمامهم إلى آداب اليونان وتاريخهم ومن أجل هذا ، أصطبغت الثقافة الرومانية بالصبغة اليونانية ، حتى أننا نجد في العصر الإمبراطوري أن اللغة اليونانية هي لغة التعليم العالي كله تقريباً ، بينما ضاعت الآداب اللاتينية في غمرة علوم ذلك العصر وثقافته .

(٣) التلاميذ :

أما عن التلاميذ والطلبة فليست هناك معلومات أكيدة عن مستواهم الثقافي وإن كان الاعتقاد الغالب أن تعلم القراءة والكتابة والحساب كانت من المستلزمات في عصر الانتقال ، ويقال إن معظم العبيد والمعتقين من العبودية الذين خدموا في بيوت النبلاء عرفوا القراءة والكتابة والحساب لأن سادتهم وجدوا ضرورة نفعية لذلك ، ويقال أيضاً إن المعتقين كانوا يجاورون الأحرار في دراستهم بالمدرسة الابتدائية .

أما عن تعليم البنات ، فالشواهد تؤكد أنه سمح للبنت في نطاق ضيق جداً ، أن تدخل المدرسة الابتدائية ، ولكنها قبل ظهور هذه المدرسة قبعت في عقر الدار تتعلم عن طريق المشاركة أصول التدبير المنزلي وتربية الأطفال ، وعهد إليها ، بعد الزواج ، بكل ما يتعلق بالبيت والإشراف على الخدم وتعليم أطفالها القراءة والكتابة .

(٤) نظام التعليم عند الرومان :

المرحلة الأولى :

حيث بدأ ظهور بعض المدارس ومنها الخاصة بأبناء الطبقة الأرستقراطية ، يتعلمون فيها اللغة اليونانية بجانب اللاتينية ، كما يتعلمون أيضاً الموسيقى ، والخطابة ، والمنطق ، والفلك .

المرحلة الثانية :

حيث بدأ الأباطرة يهتمون اهتماماً مباشراً بالمدارس وكانوا ينفقون عليها من أموالهم ، وتبع ذلك بالضرورة ازدياد الرقابة والإشراف على ما يعلم في تلك المدارس واعتبروا أنفسهم حماة للتعليم والثقافة .

المرحلة الثالثة :

وتمثلها المدارس المسيحية التي أقامتها الكنيسة المسيحية في العصر الإمبراطوري منذ القرن الرابع الميلادي وكان من بين ما يدرس بها تعاليم الدين والقراءة والكتابة – وتشير الأدلة التاريخية إلى أن نظم المدارس الرومانية ومناهجها ، قد استمدت الكثير من المدارس اليونانية ، ومما يذكر أن أبناء الطبقات الحرة وبناتها ، كانوا يلتحقون بالمدرسة الأولية عادة في سن السابعة ، وعندما يبلغون الثانية عشرة يلتحقون بمدرسة ثانوية أو عالية ويبدو أنه كان يسمح للبنات بالتعليم في كثير من الأحيان ، أما الدراسات التي تعادل الدراسة في الكليات فكانت تتم في مدارس الخطباء وكان هؤلاء كثيرين .

(٥) إدارة التعليم عند الرومان :

كلنا يعلم أن عناصر الإدارة الأساسية هي التخطيط – التنظيم – التوجيه أو الإشراف – الرقابة أو التقويم – اتخاذ القرارات ، وقد تزيد هذه العناصر إلا أن الأفضل هي العناصر المذكورة .

فبالنسبة للإشراف والتمويل على سبيل المثال لا الحصر – يلاحظ ما يلي :

أ- في المراحل المبكرة في المجتمع الروماني ، كانت التربية تتم بإشراف الأسرة بهدف إعداد الأطفال لحياة القبيلة بعاداتها وتقاليدها ومهاراتها .

ب- في عصر الجمهورية وجدت المدارس النظامية ، ولكن حجم المهمة التربوية التي قامت بها هذه المدارس لم يكن كبيراً ، ثم بدأت المدارس تقوم بدور بارز ، وذلك بتأثير انتشار

الثقافة اليونانية في منطقة البحر المتوسط ، وكانت هذه المدارس في الغالب مدارس خاصة مع قدر محدود من إشراف الدولة .

ج- ولعل أهم تطور تعليمي شهدته روما في العصر الإمبراطوري هو اهتمام بعض الأباطرة بالتعليم واحتضانهم للمعلمين ، وكذلك اهتمام المجالس البلدية بشئون التعليم ، وهكذا بدأ دور السلطات المدنية في الإشراف على التعليم يزداد تدريجاً ، أو بمعنى آخر أن التطور التعليمي الذي شهدته روما في العصر الإمبراطوري انتهج اللامركزية في الإدارة .

د- سار إشراف الكنيسة جنباً إلى جنب مع السلطات المدنية ، لقد كان اهتمام الكنيسة في أول الأمر مقتصراً على توفير الفرص التعليمية لمن يصبحون أعضاء في الكنيسة ، ثم اتسعت دائرة اهتمامها بالتعليم ، وظهرت مدارس قدمت تعليماً عاماً منوعاً ، التي عرفت فيما بعد بمدارس الكاثدرائيات والتي انتشرت بعد ذلك في العصور الوسطى في أوربا .

اهتمت الكنيسة بعد ذلك بإنشاء المدارس في جميع المدن والقرى لتقديم التعليم المجاني للأطفال ، أي سار الإشراف الديني بجانب الإشراف المدني .

هـ - بالنسبة للتمويل التربوي ، فلقد كانت التربية الرومانية قاصرة على القلة المتميزة اجتماعياً ذات الثراء العريض ، لقد وجدت أيضاً المصاريف في أول الأمر ، إلا أن الكنيسة ألغت تلك المصاريف عندما أشرفت على التعليم .

و- عرف المدرسون المرتبات الدورية الرسمية ، ولو أن الرومان كانوا يحتقرون فكرة إعطاء مرتبات للمهنين عموماً ، ولعل نظرة سريعة على مرتبات المدرسين على اختلاف مستوياتهم تظهر أنها كانت قليلة ، ويقدر البعض أن ما يصرفه الأب على تعليم ابنه أقل مما ينفقه على استحمامه اليومي .

ثالثاً : أعلام الفكر الروماني:

شهد المجتمع الروماني أعلام ومفكرين وفلاسفة نذكر منهم – على سبيل المثال لا الحصر – أشهر كتاب التربية ألا وهو المرب "كونتيليان" :

(١) يعتبر "كونتيليان" أشهر كتاب التربية ، وكان أيضاً أعظم المدرسين الرومانيين نجاحاً ، وكان في طليعة رجال البيان ورفعه معاصروه إلى أسمى درجات الاعتبار.

(٢) يعتبر كتابه (أسس الخطابة) هو الكتاب الذي يعطينا صورة عملية عن مشاكل التربية بجميع نواحيها .

(٣) كان من عادة "كونتيليان" أن يجمع أحسن ما وصل إليه أسلافه من الأبحاث القيمة ، بمعنى أنه كان يُقيم بناؤه الفكري على هذه الدراسات السابقة .

(٤) نظر "كونتيليان" إلى المستقبل ، ووصف التربية الدولية أو بمعنى آخر نظـر إلـى عولمة التربية من حيث المنهج بأن يتضمن المنهج النحو والتعبير والشعر والكوميديا والتراجيديا والرياضيات والبلاغة .

(٥) اهتم "كونتيليان" باختيار المعلم ، وما يجب أن يتوافر فيه من مواصفات : (كالتدريب على القراءة – ضبط الألفاظ – تنظيم التنفس – تكييف الصوت ...) إلى ما شـابه ذلك ، إضافة إلى حسن الخلق .

(٦) يرى "كونتيليان" أن الألعاب والمسليات والمشوقات هي طرق تدريس فعالة ، بمعنى آخر أن التعليم عن طريق اللعب وإثارة الحواس وتشويق التلاميذ هـو الأفـضل ، وهو ما نادت به النظريات الحديثة في التربية .

(٧) أشار "كونتيليان" إلى أن نطاق الإشراف بالنسبة للمعلم أي نسبة عدد التلاميـذ إلـى المعلم يفضل أن يكون صغيراً ، حيث يستطيع المعلم أن يوجه عنايته إلى كل تلميذ.

(٨) ذكر "كونتيليان" أن التعليم المدرسي أفضل من التعليم المنزلي ، حيـث أن التربيـة الجماعية تأتي ثمارها حين يتعلم الأطفال معاً في الفصول .

(٩) أهتم "كونتيليان" بالتربية المنزلية كجزء مُكمل للتربية النظامية ، وربط بين المدرسة والمنزل ، واعتبر الأسرة هي القدوة الأولى للتلاميذ ، وهذا أمر طبيعي ومؤثر في التربية .

تعقيب :

الحقيقة أنه لم يكن ما قام به الرومان ، هو عملية نقل الثقافة اليونانية أو غيرها من الثقافات، ومحاولة ملاءمتها مع ظروفهم ، بل أنهم أضافوا إلى الثقافة الإنسانية كثيراً من النواحي الجديدة، وعلى الرغم من ذلك فقد سقطت الإمبراطورية الرومانية ، نلخصها في عدة أسباب :

- كان للعامل السياسي أثراً كبيراً على مراحل الحكم ، حيث اتسمت السياسة بالاضطرابات – عدم الاستقرار الفساد – انخفاض الروح المعنوية ... إلى ما شابه ذلك.
- تضافرت العوامل الاقتصادية فظهرت الضرائب – ضعف الدخل بالنسبة للفقراء – فقد الشعب ثقته على أرضه .
- زادت القاعدة العريضة من العبيد في التدرج الاجتماعي لروما .
- في بعض الأحوال ثم طرد جميع المعلمين الأجانب بعد أن تم منحهم حقوق المواطنة ، وتم غلق المدارس ، وتدهور العامل الحضاري .
- الحروب المتواصلة ضد القبائل الجرمانية ، والتي أخذت تدق كل أجزاء الإمبراطورية فقضت على الأخضر واليابس .

وربما تكون كل هذه الأسباب مجتمعة هي التي عجلت بسقوط المجتمع الروماني ، وربما يكون كل ذلك إيذاناً ببزوغ عصر جديد هو عصر الإيمان ، ورغبة الناس التفكير في الله سبحانه وتعالى .

أسئلة على الفصل السادس

(١) "عجلت الأوضاع في المجتمع الروماني بسقوط الإمبراطورية" ناقش ذلك على ضوء ثلاث قوى ثقافية مؤثرة ؟

(٢) "يعتبر "كونتيليان" أهم الشخصيات التي أثرت في التربية الرومانية" وضح أهم آراؤه التربوية ؟

(٣) اكتب مذكرات عن ثلاث مما يلي :

- المناهج — نظام التعليم عند الرومان .
- التلاميذ — إدارة التعليم عند الرومان .
- المعلمون .

(٤) "سقطت روما ، بعد أن كانت إمبراطورية مترامية الأطراف وبعد أن كانت من الحضارات القديمة التي يذكرها علماء تاريخ التربية" كيف تعلل ذلك ؟ وما رأيك الموضوعي ؟



- تقديم .
- أولاً : إستنتاجات .
- ثانياً : المتغيرت المستقبلية .
- ثالثاً : خاتمة استشرافية .



تقديم :

بعد أن تم عرض تاريخ التربية في العصور القديمة لكل من مجتمعات ما قبل التاريخ – حضارة مصر القديمة – حضارة بلاد الإغريق – الحضارة الرومانية القديمة ، تم دراسة المتغيرات المستقبلية ، كما تم التقييم لتلك الحضارات من خلال التحليل الاستراتيجي الرباعي لتفسير القوى الثقافية : (كالدينية ، والاجتماعية ، والسياسية) على سبيل المثال لا الحصر المؤثرة في حياة تلك المجتمعات والتي أثرت على التربية وقتذاك وتحليل الأداء التعليمي لمؤسسات التعليم في العصور القديمة، إضافة إلى التحليل الثنائي تمهيداً للتحرك الاستراتيجي أو بمعنى آخر وضع خطط مستقبلية عن الأداء التعليمي والمتغيرات المحتملة التي تشكل تاريخ التربية لفترة قادمة .

أولاً : استنتاجات :

بعد دراسة تاريخ التربية في العصور القديمة تم استنتاج الآتي :

(١) **الإنسان هو صانع الثقافة** ، والثقافة هي خلاصة المعرفة الإنسانية ، وهي العادات والأفكار والتقاليد والمؤسسات والتعليم ، وغير ذلك مما استطاع الإنسان أن يصل إليه ليحصل على أمنه ولتحقيق حاجاته ، أو بمعنى آخر هي طريقة الحياة التي يعيشها المجتمع والتي تميزه عن غيره من المجتمعات .

(٢) التربية عملية اجتماعية شاملة ، ويعتبر **التعليم المدرسي وغير المدرسي أحد جوانب التربية .**

(٣) **التربية** عملية اجتماعية ثقافية ، بما تحدثه من عمليات التنشئة الاجتماعية للأفراد ، **وعن طريقها يمكن إعداد القوى البشرية اللازمة للحياة .**

(٤) **التربية ضرورية للاستمرار الثقافي** ، وعامل هام لمساعدة الأفراد على التكيف للمتغيرات الثقافية المستحدثة .

(٥) **التربية تتأثر بالمجتمع** بما فيه من متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ...... إلى ما شابه ذلك ، **وتؤثر في المجتمع** ، ثم تعود وتتأثر بالمتغيرات الثقافية ثم تؤثر في المجتمع وهكذا .

(٦) فسر بعض العلماء التاريخ كما يلي :

- فكرة الحتمية في تفسير التاريخ ، بمعنى وجود خطة حتمية يسير التاريخ وفقاً لها ، وأن هناك قوى خفية تؤثر في المجتمع يصعب اكتشافها .
- فكرة تعاقب الدورات التاريخية وتشبيه المجتمعات بالكائن الحي من حيث الميلاد – النمو – الكبر – الهرم – الوفاة .
- فكرة التقدم الإنساني أن الشعوب ترتقي بالقوى البشرية ذات القدرات العالية هؤلاء البشر يتعلمون – يتحاورون – يتناقشون – يتناغمون للوصول إلى الأفضل دون إلحاد .
- فكرة التفسير المادي للتاريخ ، أي أن أهم عامل مؤثر في التاريخ هو الاقتصاد .
- نظرية المراحل : بمعنى أن لكل مجتمع مراحل يمر بها حتى يصل إلى مرحلة الرخاء الاقتصادي .

دراسة تاريخ التربية والتعليم تعني دراسة أوضاع التربية والتعليم في مجتمع أو أكثر عبر عصور أو مراحل معينة .

(٧) يفضل دراسة تاريخ التربية والتعليم في ضوء القوى الثقافية المؤثرة في التعليم ، هذه القوى يطلق عليها (الموجهات – العوامل – الظروف – الأوضاع – المتغيرات) ، وهي عديدة : كالقوى السياسية ، القوى الاجتماعية ، القوى الاقتصادية ، القوى الجغرافية ، القوى الحضارية ... إلى ما شابه ذلك .

(٨) تتكامل هذه القوى الثقافية فيما بينها ، ويمكن أن تؤثر مجتمعه في التربية والتعليم ، ويمكن أن يؤثر عامل واحد فقط في التعليم حيث يكون هذا العامل هو الموجه أو المؤثر الأكثر أهمية .

(٩) يمكن التفرقة بين التربية والتعليم كما يلي :

(أ) **<u>التربية اشمل واعم من التعليم وتشمل ما يلي</u>**: (الأسرة – مؤسسات المجتمع كالأجهزة السياسية : مجلس الشعب ومجلس الشورى – الأجهزة الدينية : الكنائس والمساجد – الأجهزة الاجتماعية : النوادي والساحات الشعبية – أجهزة الإعلام : التليفزيون – الكتب – الجرائد – المذياع – المكتبات – أجهزة المجتمع المدني – إضافة إلى أجهزة التعليم المتمثلة في المدارس والجامعات) ... وما شابه ذلك .

(ب) <u>التعليم</u> : كل أجهزة التعليم بدءاً من الروضة إلى التعليم العالي والتعليم المستمر ...... إلى ما شابه ذلك ، أما عناصر العملية التعليمية فتتكون من : (التلاميذ – المعلم – المنهج –

المبنى وتجهيزاته – الشئون المالية – العلاقة بالمجتمع المحلي والخارجي) ... إلى ما شابه ذلك .

(١٠)**تفيد دراسة التاريخ الإنسان العادي** بعامة ، والمعلم بصفة خاصة في نواحي عديدة أهمها :

- التعرف على الأسباب والمتغيرات التي شكلت الأوضاع السابقة والحالية التي تجعل المعلم أكثر مرونة وتفهماً .
- يمكن للمعلم الرجوع دائماً إلى التاريخ للاسترشاد والمشورة .
- خبرات الماضي وثراء التاريخ يساعدان على فهم الحاضر والتنبؤ بالاتجاهات التعليمية في المستقبل .
- أن التعرف على آراء أعلام الفكر التربوي عبر العصور المختلفة يسهم في إثراء الخبرات التربوية الحالية .

(١١) **لكي يتم دراسة تاريخ التربية توجد عدة طرق هي :**

- دراسة الشخصيات والأعلام .
- الدراسة العرضية (دراسة مشكلة عبر عدة عصور متتالية) .
- الدراسة الطولية (التركيز على عصر واحد فقط عند تناول المشكلة) .

(١٢) كانت الحياة الاجتماعية في المجتمع البدائي بسيطة ، والنواحي الاقتصادية غير معقدة ، **والوثنية هي أساس الدين وقتذاك** .تلك هي أوضاع المجتمع البدائي

(١٣) **اتسمت التربية في العصور القديمة بما يلي :**

- **التنويع** : حيث يقوم بالتربية (شيخ القبيلة – كاهن القبيلة – رب الأسرة – الكبار) .
- متدرجة : يتشرب الطفل الثقافة بطريقة مرحلية حسب السن والنمو البدني والعقلي .
- **القابلية** : أي أن التعليم يتميز بالطواعية دون إيجابية وتفاعل مع البيئة المحيطة .

(١٤) **لقد كانت التربية المصرية حافظة للثقافة** ، وعاملة على استمرار بقائها ، وإذا كانت مصر قد حققت تقدماً هائلاً في ميادين مختلفة ، فيرجع الفضل إلى الطبقة المختارة التي كان لديها من الوقت والتفرغ والبواعث ما أتاح لها فرص التفكير والانتاج .

(١٥) أثرت القوى الثقافية في بلاد الإغريق ، **وتفوقت أثينا بكل المعايير على أسبرطة** ، حيث قادت هذه المعايير أثينا إلى التقدم والإزدهار وظهر الفلاسفة أمثـال (أفلاطـون ، أرسـطو ، وسقراط) ... وغيرهم .

(١٦) **هدف النظام التعليمي في أثينا إلى التربية المتكاملة الشخصية الأثيني** ، وتشابهت طرق التدريس مع طرق التدريس في مصر الفرعونية ، كما تـشابهت العلاقـة بـالمجتمع المحلـي والخارجي مع الجيران مع نظيرتها في مصر .

(١٧) **على الرغم من أن دول العالم أجمع مدينة للثقافة الإغريقية** وبخاصة الثقافة الأثينية ، إلا **أنه يؤخذ على الحضارة الإغريقية** وبخاصة مدينة أسبرطة ، ما يلي :

- أهملت أسبرطة التربية العقلية والجمالية والوجدانية .
- التسلط والديكتاتورية السياسية والتحكم في حياة الأسبرطي منذ سن السابعة وحتى الستين عام .
- المعايير الأخلاقية في أسبرطة وقتذاك لا يقبلها العقل في العصر الحديث .

(١٨) سقطت الإمبراطورية الرومانية في العصور القديمة لعدة أسباب ، هي :

- أتسمت السياسة بالإضطرابات وعدم الاستقرار والفساد وانخفاض الروح المعنوية .
- ضعف الدخل بالنسبة للفقراء وظهرت الضرائب وفقد الشعب ثقته في أرضه .
- زادت القاعدة العريضة من العبيد في التدرج الاجتماعي .
- تدهور العامل الحضاري بطرد المعلمين وغلق المدارس .
- الحروب المتواصلة التي أخذت تدق كل أجزاء الإمبراطورية .

ثانياً : المتغيرات المستقبلية :

ثم ذكر القوى الثقافية : (الدينية – السياسية – الاجتماعية) ... إلى ما شابه ذلـك التـي أثرت في تاريخ التربية في العصور القديمة ، وبالرغم من ذلك لخص (جون نايسبت) اتجاهات لقوى ثقافية محتملة لعالم القرن الحادي والعشرين هي(٣٢) :-

(١) سيحدث انتقال حاسم من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات وهو نتيجـة حتميـة للثورة العلمية التكنولوجية .

(٢) الانتقال من التكنولوجيا الصناعية إلى التكنولوجيا رفيعة المستوى وأبرزها بطبيعة الحال الحواسب الآلية .

(٣) الانتقال من الاقتصاد القومي إلى الاقتصاد العالمي ، ويكشف عن ذلك دورة الجات السادسة في أرجواي ، والتي ترتب عليها توقيع المعاهدة الخاصة بإنشاء منظمة التجارةالعالمية والتي أنضمت لها (١١٤) دولة .

(٤) الانتقال من التفكير على المدى القصير إلى التخطيط على المدى الطويل ، وربما يكشف عن ذلك بزوغ وذيوع مفهوم الرؤية الاستراتيجة للمجتمع ، والتي تحاول أن تستشرف الآفاق وتخطط للمجتمع على مدى ربع قرن من الزمان .

(٥) الانتقال من المركزية إلى اللامركزية ، وهو تحول يعكس تحولات فكرية كبرى من نظرية الحداثة إلى نموذج ما بعد الحداثة .

(٦) الانتقال من المساعدة المؤسسية التي تتمثل في مؤسسات الدولة أو القطاع العام إلى المساعدة الذاتية ، والتي يكشف عنها النمو الواسع المدى للمنظمات غير الحكومية والجمعيات التعاونية .

(٦) الانتقال إلى الديمقراطية التشاركية لتحقيق الحاجات والمطالب الشعبية العريضة .

(٧) الانتقال من التنظيم الاجتماعي من فكرة التدرجية الرأسية إلى التنظيم الشبكي الفعال .

(٩) الانتقال من التركيز على الشمال إلى الاهتمام بمشكلات الجنوب .

(١٠) الانتقال من طريقة التفكير الثنائية التي تقوم على الاختيار الجامد بين بديلين فقط إلى طريقة تقوم على تعدد الاختيارات .

(١١) تحدي آخر ومتغير هام يعبر عن ظاهرة العولمة التي شاع استخدامها بدرجة كبيرة في التسعينات ، في أواخر القرن العشرين – والتي تعبر عن قولبة الأفراد أو إدخالهم في قالب من السلوك حتى يختفي الاغتراب ويزول الصراع تعتبر تحدياً هاماً يجب التعامل معها .

(١٢) تحدي هام ألا وهو ضرورة التعامل مع سياسات الموجة الثالثة التي تعبر عن ثورة المعلومات المتدفقة ، هذه الموجة أشد وأخطر من كل من :

(الموجة الزراعية أو الثورة الزراعية(الموجة الأولى) والثورة الصناعية (الموجة الثانية).

(١٣) **تحديات أخرى أشار إليها بعض العلماء هي :**

- التحدي للاستمرار في التعليم .

- التحدي للتحسين .
- التحدي لتصبح ماهر في اتخاذ القرارات .
- التحدي لتصبح ماهر في الاتصالات .
- التحدي لتصبح مُيسر تفي باحتياجات أفرادك .
- التحدي لتصبح عضواً في فريق .
- التحدي لتصبح قائد فريق ... إلى ما شابه ذلك .

ثالثاً : خاتمة استشرافية :

يرى عرفات عبد العزيز سليمان(٣٣) : أنه في مقدمة أهداف أي باحث عربي في مجال التربية والتعليم ، عندما يتناول بالدراسة أحد الموضوعات التربوية ، هو أن يُقيم أوضاع التعليم في العالم العربي ، ثم يقدم ما يراه من آراء ، ومقترحات في سبيل تطوير هذا الواقع إلى ما هو أفضل ، حتى تستطيع الدول العربية ، أن تواكب الاتجاهات التقدمية في عالمنا المعاصر ، والتي تأخذ بها الدول الكبرى .

نحن نتفق معه في هذا الاتجاه إلى حد كبير ، حيث تتضمن الخاتمة الاستشرافية تقييم لتاريخ التربية في العصور القديمة تمهيداً أو التوصل للخط الاستراتيجي العام للتربية المستقبلية.

أن هذا التقييم سار في خطوات هي :

الخطوة الأولى :التحليل الاستراتيجي الرباعي الذي تضمن :

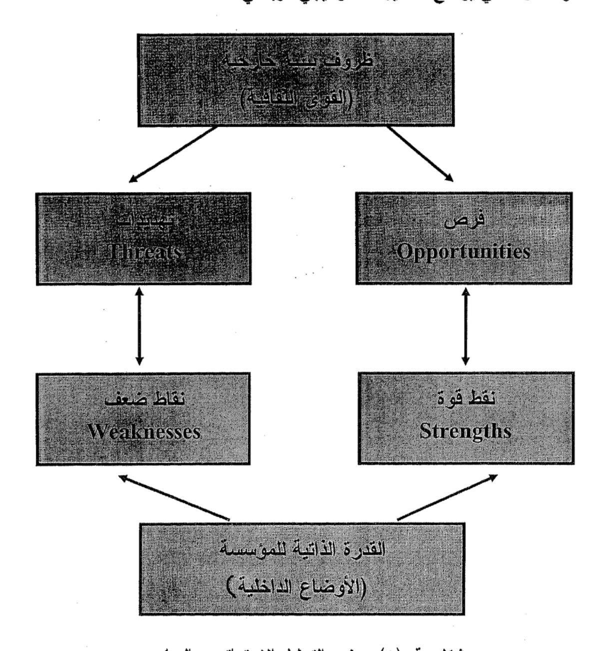
- دراسة البيئة الخارجية بما فيها من فرص وتهديدات .
- دراسة البيئة الداخلية بما تتضمنه من نقاط قوة ونقاط ضعف .

الخطوة الثانية:التحليل الثنائي أو المزدوج بدمج تحليل البيئة الخارجية بتحليل البيئة الداخلية للمنشأة ، وبيان التحرك الاستراتيجي .

علماً بأن هذان التحليلان قد طبقا على حضارة مصر القديمة لتوضيح الفكر الاستراتيجي للتربية المستقبلية .

الخطوة الأولي :التحليل الاستراتيجي الرباعي :

والشكل التالي يوضح التحليل الاستراتيجي الرباعي :



شكل رقم (٥) يوضح التحليل الاستراتيجي الرباعي

ويلاحظ من الشكل السابق رقم (٥) ما يلي :

١- نقصد بالبيئة الخارجية المحيطة بالمنشأة : إجمالي القوى أو العوامل ذات التأثير الحالي والمحتمل عليها .

٢- **نعني بالفرص والتهديدات** : هو أن تكون بعض هذه القوى فرص داعمة للتعليم وللمجتمع ، وقد تكون هذه القوى غير داعمة للتعليم وللمجتمع .

- لذا يقع على الإدارة تشخيص التهديدات التي تفرض على المنشأة ، وتحديد آثارها وطرق التعامل معها ووضع حلول بديلة على ضوء الإطار العام للقوى الثقافية السائدة .
- تقييم الفرص المتاحة واستثمارها واستخدامها في تيسير الاداء .
- ولمزيد من التوضيح يلاحظ ما يلي :-

الفرص : هي تجمع لعدد من الظروف المواتية لإحداث تحسين في الأحوال القائمة ، وتتحدد الفرصة بناء على :

- إدراك وجود حالة بديلة للوضع القائم .
- الحالة البديلة أكثر جاذبية من الوضع القائم .
- القدرة على تحقيق هذه الحالة البديلة بنجاح وبتكلفة معقولة .

وتتنوع الفرص فمثلاً :

- **فرصة الابتكار** : أي فرصة تقديم شيء جديد كتقديم خدمات للبشر .

- **فرصة تحسين الكفاءة** : أي استخدام الموارد المتاحة بشكل أفضل سواء كانت هذه الموارد مالية أو بشرية .

- **فرصة تنافسية** : ويعبر عنها بالجودة الشاملة التي تتمثل علي سبيل المثال في : البيئة الفيزيقية – السياسات المرنة – آليات التنفيذ المفسرة .

القيود : هي تلك التي تخضع لها الإدارة التعليمية بصفة خاصة والتعليم بعامة ، وهي عبارة عن مجموعة من الظروف التي تضطر الإدارة التعامل معها ، في حين لا تستطيع السيطرة عليها أو التأثير فيها بشكل مباشر أو سريع .

بمعنى آخر القيد عامل يؤثر في كفاءة الإدارة حيث لا يدخل في نطاق رقابتها .

أن أنواع القيود هي : السياسية – الاقتصادية – الاجتماعية – الحضارية ، ومن أمثلتها :

- التغيير في السياسة الضريبية والتعريفة الجمركية .(قيود القوي السياسية)
- نقص الموارد كنقص الطاقة وضرورة تخفيض الاستهلاك .(قيود القوي الاقتصادية)
- التطور التكنولوجي السريع – قيودالوقت .(قيود العوامل الاقتصادية أيضا)

– درجة التعليم والاتجاهات والخبرات وثقافة البشر .(قيود العوامل الحضارية)

وتصبح مشكلة التنظيم الإداري بالمنشأة ، هو كيف يتجنب أو يقلل من تـأثير عناصـر المناخ الخارجي ، ويطرح الدكتور/ علي السلمي – عدداً من البدائل هي :

١– الاحتفاظ بعدد من بدائل القرارات مع الأخذ في الاعتبار القيود .

٢– تغيير الاستراتيجيات الحالية للحصول على مصدر للقوة لكل قطاعات المنشأة .

٣– تحقيق أكبر استخدام لطاقات عناصر التنظيم وابتكار الجديد .

<u>**عموماً لكي يتم دراسة البيئة الخارجية يفضل ما يلي :**</u>

– جمع معلومات عن البيئة والتي تُهتم المنشآت التعليمية سواء كانـت هـذه المعلومـات سياسية اقتصادية إلى ما شابه ذلك .

– اكتشاف الفرص والتهديدات والتركيز على الاتجاهات المستقبلية .

– تحليل التهديدات والفرص ، بتحديد أثرها على المنشأة ، واحتمال حدوثها في المـستقبل وأهميتها ، إضافة إلى وضع استراتيجيات للتعامل مع التهديـدات واقتنـاص الفـرص المتاحة .

٣– <u>نعني بالقدرة الذاتية للمؤسسة</u> : الأوضاع الداخلية أو الإمكانيات الداخليـة للمنـشأة ، حيث يمكن القول أنه باستخدام تلك الإمكانيات يمكن للمنشأة التعليمية أن تغيـر أشـياء كثيرة في البيئة الخارجية لصالحها .

لهذا السبب يجب تقييم إمكانيات المنشأة ، وهو ما يطلـق عليـه بتقيـيم الأداء الداخلي للمنشآت ، إن هدف التقييم هو :

أ– التعرف على نقاط قوة المنشأة .

ب–التعرف على نقاط ضعف المنشأة .

<u>**أن الخطوات العملية لتقييم الأداء الداخلي للمنشأة :**</u>

هو نفس الخطوات السابقة عند تقييم البيئة الخارجية وهي :

أ– تحديد المعلومات الخاصة بالأداء الداخلي للمنشأة التعليمية .

ب– اكتشاف نقاط القوة ونقاط الضعف لدى المنشأة مع التركيـز علـى المـستقبل وذلـك (بالعصف الذهني – تحديد اتجاهات الأداء – مقارنة الأداء بالمنافسين) .

ج- تحليل نقاط القوة والضعف وذلك :

- تحديد مدى تأثير كل بند من نقاط القوة والضعف .
- تحديد مدى احتمال حدوث واستمرار نقاط القوة والضعف في المستقبل .
- تحديد أهمية أو استراتيجية نقاط القوة ونقاط الضعف للتحرك الاستراتيجي .

والآن يثار سؤال ألا وهو كيف يمكننا القيام بالتحليل الاستراتيجي الرباعي لتاريخ العصور القديمة في أكثر من دولة ؟

وللإجابة على هذا السؤال دعنا نعطي مزيداً من الاهتمام لحضارة مصر القديمة على سبيل المثال :

الخطوة الأولي :تحليل البيئة الداخلية والخارجية :

وذلك لدراسة القوي الثقافية المؤثرة علي العملية التعليمية ،إضافة إلي دراسة الأداء التعليمي في مصر القديمة

<u>بالنسبة لتحليل البيئة الخارجية لحضارة مصر القديمة :</u>

يلاحظ ما يلي :

أ- أنه قد تم تجميع المعلومات الخاصة بتاريخ التربية لحضارة مصر القديمة في الفصل الرابع .

ب- تم اكتشاف الفرص والتهديدات للأوضاع الثقافية الموجودة في البيئة الخارجية ، حيث تم مناقشة هذه الأمور مع نخبة ممتازة من أعضاء هيئة التدريس في جامعة بني سويف ، مع التركيز على الاتجاهات المستقبلية .

ج- تم تحليل الفرص والتهديدات الثقافية باتباع الخطوات التالية :

١- تم وضع الفرص والتهديدات الثقافية في شكل قائمة .

٢- تم تحديد تأثير كل عنصر في القائمة بإعطاء قيمة تحدد مدى التأثير ، على سبيل المثال وضع درجة من (١٠٠) .

لقد تم استخدام طريقة دلفى للتوصل إلى تقدير كل عضو هيئة تدريس ، ثم تم حساب المتوسط الحسابي لتقديرات الأعضاء ، لكي يعبر عن درجة التأثير .

٣- تم تحديد احتمال حدوث كل عنصر في القائمة في الواقع العملي مستقبلاً .

٤- تم ضرب الخطوة رقم (٢) × الخطوة رقم (٣) حتى تتحدد درجة الأهمية أو درجة استراتيجية المنشأة .

ويوضح الشكل التالي خطوات تحليل البيئة الخارجية لمصر القديمة بما تتضمنه من فرص وتهديدات للقوى الثقافية :

الفرص والتهديدات للقوي الثقافية	الأثر	احتمال الحدوث	أهمية العنصر
الفـــــرص :			
١- كان المصري القديم يعتقد في الحياة الآخرة .	٢٠	صفر	٢٠
٢- كان المصري القديم يؤمن بالإلة الوحد .	٣٠	٧٠	٢١٠٠
٣- القيم الأخلاقية الحسنة والسلوك الطيب .	٨٠	٥٠	٤٠٠٠
٤- الأسرة محل تقدير واحترام .	٨٥	٥٠	٤٢٥٠
٥- أساليب التربية تتضمن الترغيب والترهيب .	٩٠	٧٠	*٧٢٠٠
٦- التدرج الاجتماعي كان معتدلاً .	٩٥	٨٠	*٧٦٠٠
٧- تفردت مصر بأنه لم يوجد لديها نظام للعبيد .	٩٥	٩٥	*٩٠٢٥
٨- عاش المصري القديم في جو من الهدوء .	٨٥	٧٠	٥٩٥٠
٩- عمل الحاكم والكهنة والكتبة كفريق عمل في تناغم .	٩٠	٦٠	٥٤٠٠
١٠- عرفت مصر القديمة تطوراً في النظم السياسية .	٨٠	٦٠	٤٨٠٠
التهديدات :			
١- الوثنية السائدة وقتذاك .	٩٥	صفر	٩٥
٢- كان نظام الحكم السياسي أقرب إلى الديكتاتورية .	٩٠	٥٠	*٤٥٠٠

شكل (٦) يوضح تحليل البيئة الخارجية

من الشكل السابق رقم (٦) يتضح الحقائق التالية :

أ- هناك (٣) فرص ، وتهديد واحد وهي المشار أمامها بعلامة (*) .

ب- أن الفرص تتمحور حول القوى الاجتماعية ، وأن التهديدات تتمحور حول القوى السياسية .

ج- لاحظ أن الفرص في الشكل أكثر من التهديدات وهذا في صالح المنشآت التعليمية .

أن تحليل البيئة الداخلية يتبع نفس خطوات تحليل البيئة الخارجية من حيث :

- جمع المعلومات عن البيئة الداخلية .
- اكتشاف نقاط القوة ونقاط الضعف .
- تحليل نقاط القوة ونقاط الضعف .

لذا يوضح الشكل التالي تحليل البيئة الداخلية لمنشات التعليم ، أو كما يطلق عليها القدرة الذاتية لمؤسسات التعليم بما تتضمنه من نقاط قوة ونقاط ضعف .

نقاط القوة والضعف للأداء الداخلي	الأثر	احتمال البقاء	الأهمية
نقاط القوة :			
- كان هدف التربية التنمية الثقافية والمهنية .	٨٠	٨٠	*٦٤٠٠
- وجدت فنون وحرف كثيرة بالقياس إلى الحضارات القديمة وقتذاك .	٩٠	٨٠	*٧٢٠٠
- أتيحت السلطات والصلاحيات للمعلم .	٩٠	٤٠	٣٦٠٠
- تنوعت المدارس (عامة – خاصة – دينية – عسكرية ... إلى ما شابه ذلك) .	٨٠	٩٠	*٧٢٠٠
- احتوى المنهج على علوم دينية وعلوم كونية .	٨٠	٥٠	٤٠٠٠
- اعتبرت مكتبة الاسكندرية مركز ثقافي عالمي .	٩٠	٩٥	*٨٥٥٠
نقاط الضعف :			
- اتسام الحياة المدرسية بالقسوة والعنف .	٩٠	٢٠	١٨٠٠
- الخوف الوظيفي والرهبة .	٩٠	٦٠	*٥٤٠٠
- انخفاض الروح المعنوية .	٩٠	٧٠	*٦٣٠٠

شكل (٧) يوضح تحليل نقاط القوة والضعف لمنشآت التعليم

من الشكل السابق (٧) تتضح الحقائق التالية :

أ- هناك (٤) نقاط قوة ، و (٢) نقطة ضعف ، وهي المشار أمامها بعلامة (*) .

ب- أن نقاط القوة تمحورت حول :

- هدف التربية في مصر القديمة .
- الحرف والفنون المتنوعة بالقياس إلى الحضارات التي وجدت في هذا العصر .
- تنوع المدارس .
- مركز الاسكندرية العالمي الذي جذب الأنظار إليه .

وأن نقاط الضعف تركزت في :

- الخوف الوظيفي والرهبة .
- انخفاض الروح المعنوية .

وربما يرجع ذلك إلى اتسام الناحية السياسية بالتسلط والديكتاتورية ، وسيادة القسوة والعنف في الحياة المدرسية .

ج- يلاحظ أن نقاط القوة أكثر من نقاط الضعف وهذا يحقق مزايا للمنشآت التعليمية .

الخطوة الثانية : التحليل الثنائي أو المزدوج :

بعد أن تم تحليل البيئة المحيطة للتعرف على الفرص المتاحة والتهديدات التي تحيط بالمنشأة ، وبعد أن تم كذلك تحليل نقاط القوة ونقاط الضعف للبيئة الداخلية ، يفضل بعد ذلك التعرف على كيفية التوصل إلى استراتيجيات التحرك المستقبلية ، وذلك بدمج كل من تقييم البيئة المحيطة وتقييم الأداء الداخلي في تحليل واحد ، ببساطة تستطيع المنشأة أن تحدد موقفها ، وأن تحدد تحركاتها الاستراتيجية بشكل عام ، وذلك من خلال :

- تعظيم واستغلال الفرص المتاحة ونقاط القوة والنجاح واستخدام ذلك للتفوق .
- علاج والقضاء على التهديدات أو القيود أو المشاكل ونقاط الضعف .

<u>خطوات تحديد الموقف الاستراتيجي :</u>

لكي يتم دمج تقييم البيئة الخارجية بتقييم الأداء الداخلي توجد عدة خطوات هي :

(١) يتم تقييم البيئة المحيطة الخارجية بما فيها من فرص وتهديدات .

(٢) يتم تقييم الأداء الداخلي مع تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف .

- ويطلق على رقم (١) ورقم (٢) التحليل السابق شكلي (٥) ،(٦) أيضاً التحليل الاستراتيجي الرباعي ، ويطلق عليه بالانجليزية (Swat Analysis) وهو اختصار

للأربع كلمات نقاط القوة (Strengths) ، ونقاط الضعف (Weaknesses) ، والفرص (Opportunities) ، والتهديدات (Threats) .

(٣) أن دمج تقييم البيئة الخارجية بتقييم الأداء الداخلي يطلق عليه التحليل المزدوج أو التحليل الثنائي ، وهو مفيد في التحرك الاستراتيجي .

ويصور الشكل التالي التحليل المزدوج الثنائي للبيئة الخارجية والأداء الداخلي لحضارة مصر القديمة

نقاط القوة والضعف / فرص وتهديدات	نقاط القوة :	نقاط الضعف :
	- مركز الاسكندرية الثقافي العالمي . - الفنون والحرف بالقياس إلى الحضارات الأخرى .	- اتسام الحياة المدرسية بالقسوة . - الخوف والرهبة .
الفرص : - التدرج الاجتماعي المعتدل . - أساليب التربية تتضمن الترغيب والترهيب .	- تنمية مكتبة الاسكندرية الحالية . - مزيد من الفنون والحرف الحديثة . - الاستمرار في أساليب التربية الخلقية .	- الاعتماد على النمط الديمقراطي والأبوي في الإدارة . - القيادة التي تجعل التابعين قادة (لديهم جرأة وإقدام) .
التهديدات : - الوثنية السائدة . - الديكتاتورية في نظام الحكم .	- التمسك بالقرآن والسنة . - التحول إلى النمط التشاركي في نظم الحكم .	- مسايرة اتجاهات الإدارة المدرسية الحديثة . - تدريب رجال الإدارة التعليمية وزيادة قدرتهم الذاتية .

شكل (٨) يوضح التحليل الثنائي للبيئة الخارجية والأداء الداخلي

وقدم الشكل السابق رقم (٨) ما يلي :

التفاعلات بين كل من الفرص والتهديدات وبين كل من نقاط الضعف والقوة كالتالي :

(١) **الفرص × نقاط القوة** : إذا كانت المنشأة تقع في هذا المربع فإن المنشأة محظوظة لأن أمامها فرص سانحة ولديها نقاط قوة ، وفي هــذه الحالــة علــى المنــشأة أن تــضع الاستراتيجيات التي توظف مواردها الداخلية لاستغلال الفرص المتاحة .

(٢) **الفرص × نقاط الضعف** : المشكلة هنا أن نقاط الضعف الداخلية قد تمنع المنشأة مــن اقتناص الفرص المتاحة ، لذا يكون التحرك الاستراتيجي هو عــلاج نقــاط الــضعف الداخلية .

(٣) **التهديدات × نقاط القوة** : إن استخدام نقاط القوة الداخلية فــي تخفــيض التهديــدات الخارجية إلى أقصى حد يعتبر التحرك الاستراتيجي الفعال .

(٤) **التهديدات × نقاط الضعف** : إذا كانت المنشأة في هذا المربع ، فهي في وضع سيء ، وفي هذه الحالة يجب على المنشأة أن تقلل من التهديدات أو القيود في البيئة الخارجية ، وأن تخفض أيضاً من نقاط الضعف إلى أقصى حد ، وأن تحارب المنشأة فــي ســبيل البقاء.

إذن التحرك الاستراتيجي لتاريخ التربية المستقبلية هو،ومن واقع الشكل رقــم (٨) ما يلي:

١- تنمية مكتبة الاسكندرية الحالية .

٢- مزيد من الحرف والفنون الحديثة .

٣- الاستمرار في أساليب التربية الخلقية .

٤- التمسك بالقرآن والسنة.

٥- التحول إلى النمط التشاركي في نظم الحكم .

٦- الاعتماد على النمط الأبوي في الإدارة المدرسية .

٧- القيادة الفعالة التي تحقق السلام في المواقف الصعبة .

٨- مسايرة الاتجاهات الإدارية الحديثة .

٩- تدريب وتنمية رجال الإدارة المدرسية .

بعد أن تم دراسة تاريخ التربية في العصور القديمة لعدد من الحضارات : كحضارة مصر القديمة وحضارة بلاد الإغريق والحضارة الرومانية ، وأدركنا أوجه التشابه وأوجه الاختلاف ، ثم قمنا بتقييم الحضارة المصرية القديمة- علي سبيل المثال -من حيث دراسة القوي الثقافية المؤثرة في تلك الحياة ، إضافة إلي دراسة الأداء التربوي لتلك الحضارة ،بهدف اتخاذ قرارات رشيدة تمكننا من التحرك الاستراتيجي ، أو بمعني آخر إذا كنا جميعا نتفق علي أن دراسة التاريخ هي الانطلاق إلي الأفضل ، فان اتخاذ القرارات الرشيدة بشان تلك الأوضاع الثقافية وأيضا دراسة الأمور التربوية يسهم في تفهم أفضل لرسم الاستراتيجيات وصياغتها وتنفيذها بامتياز لفترة زمنية تثري الحياة المصرية بعامه والحياة التربوية بخاصة ، هذه الاستراتيجيات هي التي ستحقق النصر لمصر بإذن الله.



المراجـــــــع

(١) عرفات عبد العزيز سليمان : **الاتجاهات التربوية المعاصرة** ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

(٢) المرجع السابق : **اتجاهات التربية عبر العصور** ، محاضرات للدبلوم العام ، بدون نشر ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

(٣) سيد إبراهيم الجيار : **تاريخ الفكر التربوي** ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

(٤) عرفات عبد العزيز سليمان : **اتجاهات التربية عبر العصور** ، مرجع سابق .

(٥) سعد مرسي أحمد : **تطور الفكر التربوي** ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

(٦) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

(٧) عرفات عبد العزيز : **الاتجاهات التربوية المعاصرة** ، مرجع سابق .

(٨) سيد إبراهيم الجيار : **تاريخ الفكر التربوي** ، مرجع سابق .

– انظر بول مترو : **المرجع في تاريخ التربية** ، ترجمة صالح عبد العزيز ، ط١ .

– سعد مرسي أحمد : مرجع سابق .

(٩) عرفات عبد العزيز سليمان : **اتجاهات التربية عبر العصور** ، مرجع سابق .

(١٠) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

(١١) عرفات عبد العزيز سليمان : **اتجاهات التربية عبر العصور** ، مرجع سابق .

(١٢) سعد مرسي أحمد : مرجع سابق .

(١٣) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق

(١٤) عرفات عبد العزيز سليمان : **اتجاهات التربية عبر العصور** ، مرجع سابق .

(١٥) أحمد بدوي ومحمد جمال الدين مختار : **تاريخ التربية والتعليم في مصر** ، ج١ ، العصر الفرعوني ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

– انظر بول ديورانت : **قصة الحضارة** – ترجمة بدران – ج٢ .

(١٦) سعد مرسي أحمد : مرجع سابق .

– مصطفى العبادي : **مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي** .

(١٧) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

(١٨) سعد مرسي أحمد وسعيد إسماعيل : **تاريخ التربية والتعليم** ، مكتبة عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

(١٩) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

(٢٠) فتحية حسن سليمان : **التربية عند اليونان والرومان** ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٩٥.

– سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

– سعد مرسي أحمد : مرجع سابق .

(٢١) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

(٢٢) سعد مرسي أحمد : مرجع سابق .

(٢٣) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

– عرفات عبد العزيز سليمان : **اتجاهات التربية عبر العصور** ، مرجع سابق .

- SEE: Thomas Woody: **Life and Education in Early soeietier**.

- Maspers G.: **The Dawn of Civilization Egypt and Chalded**.

- Taylor, E.B. **Primitive Culture**, London.

- E.B. Ancient Education and Today. 2nd ed. **Harmondsworth, U.K.**, Penguin Books.

(٢٤) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

(٢٥) سعد مرسي أحمد : مرجع سابق .

(٢٦) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة .مفكرون من أعلام التربية ، مركز مطبوعات اليونسكو ،القاهرة ،١٩٩٥

(٢٧) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

(٢٨) سعد مرسي أحمد : مرجع سابق .

(٢٩) سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق .

(٣٠) عبد الغني عبود : التربية المقارنة في نهايات القرن ، دار الفكر العربي ، القـاهرة ، ١٩٩٣ .

(٣١) –سعد مرسي أحمد : مرجع سابق .

– سيد إبراهيم الجيار : مرجع سابق

- See: Gwymur. **A, Roman Education Formr Cicers to Quinilion Hokrd**.

- Ely Frederick and Arrowood. **C.F. The History and Philosoph of Education-Ancient and Medieval**, New-York Psentice- Hall.

(٣٢) مريم محمد إبراهيم الشرقاوي : إدارة المدارس بالجودة الشاملة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

(٣٣)عرفات عبد العزيز سليمان : الاتجاهات التربوية المعاصرة ، مرجع سابق.

المؤلفات

١) التربية المقارنة لطفل ما قبل المدرسة ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،٢٠٠١.

٢) في مجال التربية المقارنة ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،٢٠٠١.

٣) ادارة المدارس بالجودة الشاملة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،٢٠٠٣.

٤) دراسات في الادارة التعليمية ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،٢٠٠٣.

٥) الادارة الصفية المتميزة ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،٢٠٠٥.

٦) ادارة التعليم الفني وفقا لمشروع مبارك -كول ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،٢٠٠٥.

٧) الادارة المدرسية ،مكتبة النهضة المصرية ،٢٠٠٧.

٨) المدارس وادارة الكتاب المفتوح ، مكتبة النهضة المصرية ،دار النهضة العربية ، القاهرة ،٢٠٠٩.

٩) التعليم و[illegible] الشاملة ،مكتبة النهضة المصرية ،دار النهضة العربية ،القاهرة ،٢٠٠٩.

١٠) ادارة ضغوط التعليم ،تحت الطبع.

الدعاء

"اللهم لك الحمد بكل نعمة أنعمت علينا بها ،من قديم أو حديث ،أو خاصة أو عامة ، يا رب نشكرك والشكر نعمة منك"

"لزيادة وإحصاء النعم"

" اللهم إني أسألك الهدي والتقي والعفاف والغني "

"للتطوير والتحسين المستمر في الأداء"

"ربنا تقبل منا انك السميع العليم لك أسلمت وعليك توكلت واليك أنيب "

"للمساهمة في تطوير المجتمع "



هذا الكتاب

❖ يتجلى أهمية الكتاب فى أنه يلقى الضوء على حقبة تاريخية هامة الا وهى تاريخ التربية فى العصور القديمة ، التى تمثل الاساس للإنطلاق الى الافضل .

❖ هدف الكتاب الى دراسة بعض الحضارات : كحضارات مصر القديمة الحضارة الاغريقية - الحضارة الرومانية بعرض الإلمام بهذه الحضارات ودراسة القوى الثقافية المؤثرة فى الأداء التعليمي.

❖ تفرد الكتاب بالتجديد والتميز حيث تم استخدام كل من التحليل الاستراتيجي الرباعي (SWAT) والتحليل المزدوج او الثنائي للحضارات المصرية القديمة بهدف التحرك الاستراتيجى للاوضاع الثقافية والأداء التعليمى فى المنشآت التعليمية لفترة مستقبلية لتحقيق النصر لمصر بإذن الله فى مجال التعليم .

❖ أستاذ الإدارة التعليمية المساعد ورئيس قسم اصول التربية الأسبق ونائب رئيس وحدة الجودة جامعة بنى سويف - كلية التربية .

❖ عضو الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية .

❖ نالت تقدير فرع جامعة القاهرة بنى سويف لدورها الريادى فى خدمة المجتمع .

❖ نالت تقدير كلية التربية كأم مثالية عامي ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٦ على التوالي .

❖ ونالت تقدير جامعة بنى سويف كأم مثالية عام ٢٠٠٨ .

❖ شاركت فى التدريس ف[illegible] العامة لتعليم البنات لمدة ٣ أ[illegible]ية .

❖ ساهمت فى بعض [illegible]حلية وتقوم بأنشطة الج[illegible]لية. وتشرف على رسائ[illegible]ازال العطاء مستمرا .